

كتاب اليوم

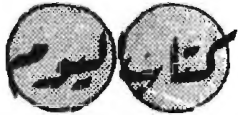
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

محمد عوض



أني كل يوم
التي لا يعرفها أحد

الطبعة الثالثة



ثقافة اليوم وكل يوم

يصدر عن
مؤسسة اخبار اليوم



أم طموم بنت لا يعرفها أحد



بقلم
ممدوح عوض

مقدمة



صديق لا أعرفه

كم الساعة الآن ؟!

سؤال يقفز الى ذهني اوتوماتيكيا كلما فكرت في
ام كلثوم ، عندما استمع اليها تغني ، تتكلم ، تناقش ،
بل - حتى - وهي تستمع .. اكتشفت .. أن الوقت قد
خدعني .. عندما أمسك يدي الى شريط من اغاني
ام كلثوم .. اي شريط .. فأنني اديره لكي استمع
منه الى خمس دقائق ، عشر دقائق ، ربع ساعة ،
ولكنني اكتشف فجأة ان الوقت قد جرى مني دون ان
أدرى .. اكتشف سؤالاً يقفز الى ذهني فجأة : كم
الساعة الآن ؟! .. الساعة السابعة ، الثامنة التاسعة ،
العاشرة مساءً .. اربع ساعات قضيتها وانا استمع ..
الى اغنية لم اسمعها منذ مدة طويلة - منذ أربع
ساعات - تصور ! .. وبينما استمع الى ام كلثوم
قرباً - ربما - أتنبه الى الوقت من جديد قرب منتصف
الليل .. ايه ؟! كم الساعة ؟! منتصف الليل ؟! لا .. لا
.. هذا كثير ! ..

ولكن لا يوجد كثير عندما تستمع الى أم كلثوم ، لم
يعد هناك كثير من التصفيق كثير من الانفعال ..
كثير من الوقت .. تحول الكثير الى شيء عادي
روتين . عادة . بل انني أعرف صديقا يحدث له
أكثر من هذا عندما يستمع الى أم كلثوم . اذا أعطيت
لصديقي هذا كرسيًا وطلبت منه أن يجلس عليه ..
فانه سوف يجلس .. ساعة ، يوما ، اسبوعا
لو لزم الأمر . صديقي لن يطلب منك شيئا أكثر من
الطعام و .. اسطوانات أم كلثوم ! ..
انني لا أعرف صديقي هذا . أعرف فقط ان اسمه
هو (م) . هذا اسمه - ميم - .. نقطة . لأنني
لا أستطيع كتابة أسماء مليون شخص ، مائة مليون
شخص ، يفعلون ما يفعله صديقي هذا عندما يستمعون
الى أم كلثوم ..
هؤلاء .. هم جمهور أم كلثوم

ومنذ وقت طويل مضى ، اعتادت أم كلثوم على هذا
الحب من جمهورها ، انها تستمع منهم الى التصفيق .
ثم ماذا بعد ذلك ؟ التقدير . ثم ماذا ؟ الشهرة
الاعجاب ، الحب - نعم - ثم ماذا أخيرا ؟ التصفيق
من جديد .. هذا كل شيء ..
ومعنى ذلك اننا لم نعرف أكثر من ١٥٪ من أم كلثوم ،
لم نشاهدها سوى كل ليلة خميس تغنى فيها ، هذا
كل ما نعرفه . أما حياة أم كلثوم - شخصية
أم كلثوم - ابتداء من الجمعة الى الاربعاء ، من
الصباح الى المساء ، من الفجر الى العشاء .. فلم
نعرف عنها الكثير بعد . مازالت شخصية أم كلثوم
تحتاج الى اكتشاف .. الى تحليل .. الى اعادة نظر ..
اكتشاف آخر ان أم كلثوم هي السبب في هذا
كله ! ..

لقد اقامت أم كلثوم سورا صينيا حول شخصيتها ،
سورا عاليا .. سورا يحجب ما في داخله خلف
هذا السور تحتفظ أم كلثوم بحياتها الخاصة ،
بشخصيتها الخاصة ، بأفكارها الخاصة . ان أم كلثوم
قد اتخذت قرارا اختياريا سابقا ان تعيش حياتها
بين قوسين ..

وشيئاً فشيئاً بدأت أحاول اقناع أم كلثوم أن تفتح القوسين ، أن تفتح باب السور حتى يعرف الناس كل حياتها ، كل شخصيتها ، كل تفكيرها . شهر وشهر .. وسنة .. ثم بدأت أم كلثوم تتكلم ، بدأت تتكلم - بعد سنة - لكي تروى لى أشياء كثيرة جداً .. أشياء أستطيع تلخيصها تحت عنوان واحد : لاشيء! .. ولا حرف ، ولا كلمة ، ولا - حتى - وعد بكلمة

ولكننى حاولت من جديد مرة .. ومرة ومرة .. ثم - أخيراً - بدأت أم كلثوم تتكلم . تتكلم فعلاً

فى هذه المرة كان حديثى مع أم كلثوم يبدأ على أساس أنه سيستغرق نصف ساعة - بالكثير ساعة - ولكن .. ها هو السؤال من جديد يقفز الى ذهنى تلقائياً كم الساعة الآن ؟ لحظتها اكتشفت أن الساعة قد توقفت منذ ساعة ، ساعتين ، ثلاث ، أربع - أحياناً خمس - ساعات ! ..

وفى كل مرة كنت أعود الى الأوراق التى كتبته من حياة أم كلثوم . إعادة نظر . ماذا فى يدي ؟ أوراق - نعم - ولكن .. ياه ! كل هذه الصفحات ؟ .. كل هذه الاسرار عن شخصية أم كلثوم ؟ ..

ان أم كلثوم بدأت حياتها من لا شيء أقل من لا شيء .. من الصفر .. من تحت الصفر .. ولكنها استطاعت أن تصل الى قمة لم يصل اليها أحد ، ثم استمرت فى وقت لا يستمر فيه أحد .. وفيما بين النقطتين - القاع والقمة - واجهت أم كلثوم مواقف كثيرة : الفقر ، الجوع ، الحرمان ، الشقاء اليأس الهزيمة ، السقوط ، الفشل ، الألم ، العذاب - كثيراً من العذاب، ثم - بعد وقت طويل - النجاح ، مواقف لا يعرفها أحد ..

فدما بين القاع والقمة كان فن أم كلثوم هو - فى الواقع - الطريقة التى عاشت بها ، حياتها نفسها .. هى الفن .. فن أم كلثوم هو حياتها ، وحداياتها هى شخصيتها ، وشخصيتها هى - من جديد - المفتاح الرئيسى - لفهم أم كلثوم . ان أم كلثوم هنا هى

نموذج ، هى رمز ، رمز لشخصية ، حياة ، المجتمع ،
لظروف هذا المجتمع .
و

الصفحات القادمة هى حصيلة هذا كله
أفكار أم كلثوم .. وأفكار المجتمع عن أم كلثوم .
نصفها مذكرات منها ، ونصفها مذكرات عنها . حل
وسط

فى هذه النقطة أريد أن أنبه الى شئ هام : اننى
اعشق صوت أم كلثوم ، ولكننى لأعبد به فى الواقع
اننى أنتمى الى جيل جديد لا « يعبد » أحدا جيل
يحب ، يعجب ، يعشق .. ولكنه لا يفعل - حتى
هذا - إلا بعد أن يفهم ويناقش جيل يرفض
استثناء أحد من المناقشة .. والمراجعة

وام كلثوم نفسها متفقة معى فى هذه النقطة
بل انه فى مكانين على الأقل من هذا الكتاب حدث
خلاف فى الراى بين أم كلثوم وبينى . مازال الخلاف
قائما .

ولكننى أومن بأننى اذا كنت معجبا حقا بأحد ..
فيجب أن أعبر عن هذا الإعجاب وأنا واقف على
قدمى ..

ان أم كلثوم نجحت فى أشياء كثيرة سوف
تسجل الصفحات القادمة جزءا منها ..

وفشلت أم كلثوم فى أشياء قليلة ، سوف تسجل
الصفحات القادمة معظمها ..

ولكن .. يبقى فى النهاية شئ واحد . لقد فشلت
أم كلثوم فى شئ أكبر من هذا كله فشلت فى أن
تكون امرأة عادية !! ..

بهذا السطر أعلن انسحابى مؤقتا حتى اجلس
فى مقاعد القارئ لصفحات .. من مذكرات أم كلثوم
.. مذكرات منها وعن مذكرات الى صديق المجهول
« م » .. ميم .. نقطة . مليون مستمع - مائة
مليون مستمع - يعشقون أم كلثوم !! ..

محمود عوض



منه مذكرات أم كلثوم

سنوات السيرة على الأقدام

مصنفون
MisrFone

« ٠٠ كانت أول حفلة غنيت فيها مزدحمة جدا
بالناس ٠ لقد حضرها خمسة عشر شخصا » !!
أم كلثوم

كانت فاطمة تقيم فى بيت ريفى صغير من الطوب النوى
البيت له عدة أبواب تطل على حوش وراء كل باب
حجرة صغيرة طولها ثلاثة أمتار وعرضها متران تقيم فيها أسرة
مكونة من زوج وزوجته وعدة أطفال

وفى احدى هذه الحجرات رقدت فاطمة المليجى تتلوى من الألم
فى انتظار الملود

ومع الفجر أطلت المولودة برأسها وحملت الداية القروية
المولودة وخرجت بها الى المندرة وهى تصرخ مبروك فاطمة ولدت!
ولم تقل الداية أن فاطمة أنجبت طفلة .. فقد خشيت أن يصطدم
الأب بالخبر !!

وكان الأب يجلس على الأرض يقرأ كتابا عن اولاد النبى
وكانت عيناه فى تلك اللحظة على اسم احدى بنات النبى ، وقبل
أن يسمع أنه رزق بمولود أو مولودة صاح نسميها باسم بنت
النبى نسميها أم كلثوم !!

ولم يكن اسم « أم كلثوم » معروفا ولا متداولاً فى قرية (طماى)
ولا القرى المجاورة ، ولهذا بدأ اسما غريبا على أسماعهم .

ولم تعارض فاطمة فى اختيار هذا الاسم ولكن الأهل
والأقارب اعترضوا على الاسم الغريب ، وراحوا يحاولون اقناع
الشيخ إبراهيم باختيار اسم خفيف مثل خضرة وبدوية وست الدار !

ورفض الشيخ هذه الاسماء لقد أصر على أن يسمى المولودة
باسم بنت النبى أم كلثوم !!

ويظهر أن أمى كانت تشارك أهل القرية سرا فى اعتراضهم
على اسم « أم كلثوم » .. لأننى وعيت عليها وهى تنادىنى باسم
« سومة » وكان والدى أيامها امام مسجد فى قرية « طماى

تَعْلَمُ مِنْ أُمِّ التَّوَّاضِعِ
و تَعْلَمُ مِنْ أُمِّ الصَّعْبِ
و تَعْلَمُ مِنْ أُمِّ الْإِبْرَاهِيمِ بِاللَّهِ
الْمُكَلِّمِ

صفحة من مدونات أم كلثوم بخط يدها .

الزهايرة « من أعمال مركز السنبلولين بمحافظة الدقهلية ، وكان مرتبه من الامامة لا يكفي للصرف على أسرته ، ولهذا كان يقرأ القرآن في الموالد أن مجموع دخله من عمله الاصلى وعمله الاضافى لم يكن يتجاوز عشرين قرشا ٠٠ !

وكان هذا المبلغ هو الذى يغطى كل شهر نفقات أسرة مكونة من أمى وأبى وأخى خالد ٠٠ وأنا ٠٠ !

ولا أعرف كيف كنا نعيش بهذا المبلغ البسيط فان صورة معيشتنا المتواضعة لا تعيش فى ذاكرتى أن أول صورة أذكرها اليوم هى صورة « ستى نصره » أم أبى كانت نحيفة سمراء، مسمسة التقاطيع ، اننى مازلت أذكرها وقد ارتدت جلبابا أسود وطرحه سوداء وجلست على الارض تفصل لى عروسة من القماش وأنا جالسة مسحورة ! أذكر أنها لما انتهت من تفصيل العروسة وملأتها بالقطن رسمت عليها العينين والحاجبين والشفقتين ثم قطعت خصلة من شعرها ولصقتها على رأس العروسة وأنا أرقب عملية الخلق فى دهشة وأعجاب ٠٠ !

ولاحظت أن أخى كان يحمل كتباً وكراسات كل صباح ويذهب الى الكتاب المواجه لبيتنا فذهبت أبكى لأمى وأطالبها بادخالى الكتاب ٠٠ !



الغناء المروية ام كلثوم ابراهيم في سنواتها الفئالفة المبكرة صورة التقطت لها سنة ١٩٣٤ ولا توجد نسخة منها عند ام كلثوم



الشيخ ابراهيم ** والد ام كنوم

وقالت أمى أنت صغيرة السن !

ولكنى رحت اذرف الدموع والى على أبى أن يدخلنى الكتاب !
وتعب أبى من الحاحى فادخلنى « كتاب » سيدنا الشيخ
عبد العزيز !

وكنت أذهب كل صباح الى الكتاب وأجلس فى الفصل دون أن
أتعلم شيئاً !

وكنت سعيدة بدخولى الكتاب فقد أصبحت لى كل مظاهر
أخى الكبير ، ولم أنتبه الى أنه كان يتعلم .. بينما كنت أنا أتفرج !
وبعد بضعة أشهر سمعت أبى يهمس لأمى عقب صلاة الفجر مرة !
أنا ما أقدرش أدفع مصاريف أم كلثوم .. ما عنديش غير قرش
واحد أدفعه للولد ..

وراحت أمى تلح على أبى وترجوه أن يبحث عن أى طريقة يدبر
بها قرشا آخر حتى لا ينكسر قلبى لقد كانت مصاريف الكتاب
قرشا واحداً أدفعه كل أسبوع لسيدنا فقى الكتاب !

واستطاع أبى أن يدبر هذا القرش ولم أخرج من الكتاب
وتحولت مع الايام من متفرجة الى تلميذة بعد أن رأيت زملائى
فى الفصل يكتبون ويقرأون وبدأت أتتبع دروس الشيخ عبد
العزيز بعد أن كنت أتتبع حركاته ونظراته !

وفجأة .. طارت سعادتى ! وكرهت التعليم والشيخ عبدالعزيز
فقد حدث أن أساءت لى زميلتى وجارتى على التختة ،
التلميذة عزيزة .. فقررت أن أنتقم منها .

وزهدت قبل موعد بدء دخول القلاميذ الى الكتاب وفتحت
درج عزيزة وكسرت لوح الاردواز الذى تكتب عليه .

وفجأة دخل مفتش وزارة المعارف ! فقفزت من مقعدى وضربت
له السلام !

وسأل المفتش عن الشيخ عبد العزيز فقلت له انه لم يحضر
بعد ..

وحضر الشيخ عبد العزيز بعد فترة من انتظار المفتش الذى
كان يتميز غيظاً من تأخر الشيخ !

ولما جاء الشيخ قال له المفتش ما شاء الله! البنت الصغيرة
تحضر فى الميعاد ٠٠ وحضرتك تتأخر نصف ساعة !

وضاق الشيخ عبد العزيز بهذا اللوم ، وحملنى مسئوليته
وراح يضطهدنى ، فى كل مناسبة كان يسأل السؤال ثم يتجه
نحوى دائما ويقول ساخرا قومى جاوبى يا بنت يا فالحة ٠٠!
وكان زملائى وزميلاتى يفرقون فى الضحك كلما سمعوا كلمة
« فالحة » ٠٠!

وضاقت الدنيا فى وجهى ! واصبحت اكره الذهاب الى الكتاب
حتى لا اقع فى قبضة الشيخ عبد العزيز واسئلته ٠!
وفى يوم من الايام فتحت لى السماء ابوابها
لقد مات الشيخ عبد العزيز فقيه الكتاب !

ولم اصدق النبأ تصورت اننى احلم ! ذهبت الى الكتاب
فقالوا لى ان سيدنا قد مات فلم اصدق ، ذهبت الى بيته ، رايت
دموع زوجته وأمه وابنته فلم اصدق ٠٠ ولما سارت جنازته وراء
نعشه حتى المدافن ، انتظرت حتى اخرجوه من النعش وادخلوه
المقبرة وواروه التراب ٠٠!

لقد كنت اتصور ان الشيخ عبد العزيز من الشخصيات التى
لا يمكن ان تموت ! كنت اتصور أنه سيظل براسه فجأة من القبر
ويقول لى

قومى جاوبى يا بنت يا فالحة ٠٠!

ولكن سيدنا الشيخ لم يطل براسه من تحت التراب !

وتوهمت أنهم دفنوا التعليم فى القبر مع الشيخ عبد العزيز !
تصورت أن عصر الذهاب الى الكتاب قد انتهى ولن يعود ،
تصورت أنه مخترع فكرة التعليم

ولكن سعادتى طارت منى مرة أخرى !

لقد فوجئت بأن سيدنا الشيخ عبد العزيز لم يكن الفقيه
الوحيد فى الدنيا ! فوجئت بأن التعليم لم يدفن معه فى القبر كما
تصورت !

فوجئت بأنه لا يزال هناك « اسياد » على قيد الحياة يعلمون
فى الكتاتيب ٠٠!

لقد أغلق كتاب سيدنا الشيخ عبد العزيز أبوابه وبقيت
كتاتيب أخرى مفتوحة الابواب !!

وأصدر والدى أمره الذى لا يقبل مناقشة بأن أنتقل مع أخى
خالد الى كتاب آخر يبعد عن بلدتنا حوالى ثلاثة كيلومترات ..
انه كتاب عزبة « الحوال » بالسنبلاوين

وكنا نمشى كل صباح ثلاثة كيلومترات الى الكتاب ، ثم نمشى
ثلاثة كيلومترات أخرى الى قريتنا ! أى اننى كنت أقطع كل يوم
سته كيلومترات مشيا على الاقدام ! ولكنى فى الواقع كنت أقطع
عادة سبعة أو ثمانية كيلومترات بسبب حبى للمغالطة !

فقد انضم لنا صابر ابن زوج أختى ، وعمرو وهو من قرية
مجاورة وكنا نحن الاربعة نلعب لعبة كرسى السلطان اثناء
عودتنا من الكتاب كان كل ثلاثة منا يحملون الرابع من عمود
تليفون .. الى عمود تليفون !

وكنا نختلف عشرات المرات ! كان كل منا يدعى أن هذا دوره
فى الجلوس على كرسى السلطان !! وكنت أكثرهم مغالطة
واصرارا على انى صاحبة الدور! ولذلك كنا نرجع عشرات المرات
الى أعمدة التليفون التى مررنا بها لنبدأ الرحلة من جديد ،
ونرضى الطفل الذى ادعى دوره فى الجلوس على كرسى السلطان!
وبدأت أحب الكتاب من جديد لأننى كنت أحب لعبة كرسى
السلطان !!

وبدأت مقاومتى للتعليم تتكسر خصوصا ان فقيه الكتاب
الشيخ ابراهيم وأولاده لم يضطهدونى كما كان يفعل سيدنا الشيخ
عبد العزيز ! لم يقل لى « الاسياد » الجدد قومى يا بنت
يافالحة ! لم يسخر منى سيدنا ! لم يركز أسئلته فى الفصل على
أم كلثوم ، الا اذا رفعت اصبعها وأبدت استعدادها للملاجة !
وبدأت أحب أساتذتى .. وحبى لهم جعلنى أحب التعليم
وأحب الذهاب الى الكتاب !!

وكانت حياة طفولتى سعيدة مليئة بالضحكات - مع الفقر -
الى أن صحوت فى فجر أحد الايام على صوت همسات بين أمى
وأبى !!

سمعت أمى تسأل أبى عن سر قلقه طوال الليل ! وسمعت أبى
يقول لها العيد جاى !! ومش قادر أجيب للاولاد جلايب
جديدة فى العيد !!

واحسست بالآلام أمى وأبى !!

وعندما طلع النهار ذهبت الى أمى وقلت لها أنا مش عاوزة
جلابية على العيد .. جلابيتى القديمة حلوة قوى ونفسى البسها
فى العيد !!

وبكت أمى .. وراحت تمطرنى بقبلاتها وشعرت وأنا محاطة
بذراعيها اننى أرتدى أجمل فستان فى الدنيا !!

★ ★ ★

ومن الصور التى تعيش فى ذاكرتى صورة أبى وهو جالس على
الأرض يعلم أخى قصة مولد النبى والقصائد والتواشيح ليساعده
فى عمله الاضافى الذى يقوم به

وأذكر أننى لم أكن أهتم بالجهود التى يبذلها أبى لتعليم أخى
وتحفيظه هذه القصائد ، كنت فى شغل عنها باللعب مع أجمل
فتاة فى الدنيا عروسة جدتى !!

ولكن يظهر أن التكرار بدأ يتحكم فى ذاكرتى ، لأننى بدأت
وعمرى خمس سنوات أقلد أبى من وراء ظهره .. أقلده وهو يعلم
أخى خالد !!

وفى أحد الايام ضبطنى أبى ! ووقف وراء الباب يرقبنى وأنا
أقلده ! فلما انتهيت من تقليده قال لى : تعالى معايا الى حفلة
شيخ البلد !!

قلت له لا موش عاوزة أروح !!

فراح أبى يفرينى بالكراملة التى أحبها فعاندت ورفضت !
ولكن لما بدأ يلوح لى بصحن المهلبية الذى أعشقه ذاب عنادى
ووافقت على أن اذهب معه الى الحفلة !!

وكانت الحفلة مزحمة بالناس .. فقد بلغ عدد الذين حضروها
حوالى خمسة عشر شخصا وكان هذا العدد بالنسبة لى هو
الزحام الضخم !!

وطلب منى أبى أن اجلس بجانبه على الكنية الخشبية واغنى
كما هى عادة الغنية فى ذلك الوقت ! ولكنى رفضت الجلوس ،
وأصررت على الوقوف فوق الكنية وبدأت أغنى !!

ولم يساورنى الخوف ! لم اضطرب أمام الجماهير ! لقد
وقفت وغنيت بلا اهتمام وكأنى أغنى لعروستى الصغيرة !!

اننى أخاف اليوم من الجمهور الذى يعرفنى وأعرفه
وأحسب له ألف حساب وأنا أواجهه لكن لما كان عمرى خمس
سنوات كنت أكثر ثقة بنفسى من اليوم ! ويظهر أن التجربة هى
التي تعلمنا الخوف !!

وبعد خمس دقائق انتهيت من غنائى وسمعت لأول مرة فى
حياتى تصفيق الناس ! ولكن هذا التصفيق لم يهزنى ! فقد
التفت الى أبى وقلت له فى لهفة فىن بقى اللى قلت لى عليه ؟
فین « طبق المهلبية » ؟!!

★ ★ ★

وكان بين الذين حضروا هذه الحفلة بعض أهالى مركز
السنبلاوين الذين طلبوا من أبى احضارى معه الى حفلتهم المقبلة .

وذهبنا الى السنبلاوين مشيا على الاقدام مشينا ثلاثة
كيلومترات . وتناوب أفراد التخت حملى على اكتافهم كلما شكوت
من التعب !

وقادنا صاحب الحفلة الى منزله الصغير
لم ادخل المنزل وحدى !!

كنت احتضن قطتى الصغيرة التى كانت تؤنسنى وتبدد
وحدى كانت هذه القطعة صديقتى ! كنت أحدثها عن متاعبى
الصغيرة وأحلامى الكبيرة .. وكانت تنصت الى باهتمام !!
وفجأة تركتنى القطعة ودخلت تحت كنبه من الخشب ! فزحفت
وراءها وجلست معها تحت الكنبه ! ويظهر أنى جلست تحت
الكنبه مدة طويلة .. فقد راح والدى يبحث عنى دون جدوى !
ولما خرجت القطعة من تحت الكنبه ، خرجت وراءها ! وتلففنى
والدى وأجلسنى بجانبه وطلب منى أن أغنى ! ورفضت للمرة
الثانية أن أغنى جالسة .. أصررت على الوقوف !!

وكان جمهور هذه الليلة أكبر من جمهور الليلة السابقة
كان عددهم عشرين شخصا ! ولكنى لم أشعر بهذا الجمهور الكبير
ولم أهتم به ! كنت أغنى وأنا أحلم .. كنت أحلم بطبق المهلبية
الذى ينتظرنى !!

وتوالى الحفلات

ولم اسمع من أبى وأبى فى يوم من الايام شكوى بصوت
مسموع من الفقر والحرمان الذى نعيش فيه ، كانا يحاولان دائما
اخفاء الضيق عنا .. وكانا لايكشفان عن هذا الضيق الا بهمسات
بعد صلاة الفجر عندما يتصوران اننى وأخى نائمان لانسمع
شيئا !

ولكن هذه الهمسات الحزينة عاشت معى ! كانت تدوى فى اذنى
كنت اتصور أن ازمة أمى وأبى فوق قدرتى ! كنت اتصور أن
كل ما أستطيع أن أقدمه لأمى هو أن اتطلع الى السماء وأقول:
يا رب ساعد أمى !!

ولم يخطر ببالى اننى سأستطيع فى يوم من الايام ان اكسب
قرشا أساهم به فى تخفيف ازمات أمى !!
ولكن فى ذات ليلة وجدت فى يدي كنزا !!

★ ★ ★

لقد اعطانى صاحب الحفلة الذى غنيت عنده قطعة فضية من
ذات العشرة القروش ! وأطبقت أصابعى الصغيرة على القروش
العشرة فى حرص وكأننى أمسك الدنيا كلها بيدي !!
عشرة قروش !!

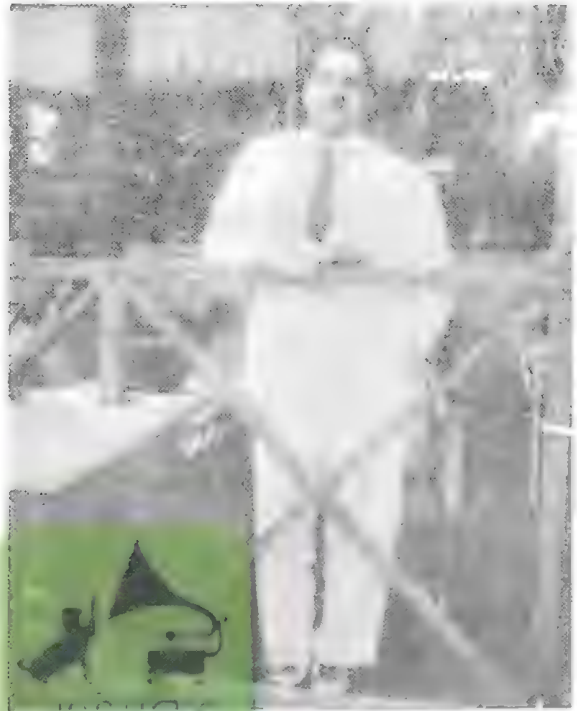
لقد بدت لى فى تلك اللحظة انها أكثر من مال قارون !
وتصورت أن العشرة القروش التى أقبض عليها بأصابعى
ستحل كل أزماتنا المالية !!

لقد شاءت الظروف بعد ذلك أن أمسك بأصابعى الورق الجنيهاات
ولكن هذه الألوف لم تهزنى ولم تبهرنى كما هزتنى وبهرتنى
العشرة القروش ..

وحملنى أحد المشايخ على كتفه ليمسود بى الى القرية !
واستغرقت فى نوم لذيذ مريح وأنا قابضة بكل قوتى على الثروة
الضخمة ! ولما وصلت الى أمى فتحت أصابعى وأعطيتها مال
قارون! وأحسست بذراعيها وهى تضمنى فى حنان .. واستغرقت
فى نوم عميق لذيق ..

لم يعد أبى يقصر جهوده على تدريب أخى خالد على الغناء ..
بدأ يدربنى أنا أيضا !

وذاع صيت الطفلة الصغيرة فى القرى المجاورة ! وخرج هذا
الصيت وراء الحدود .. حدود القرى المجاورة ! وطالت



خالد.. شقيق ام كلثوم
في سنوات شبابه وهو
يستجم في راس البر
ان وفاة خالد سببت
لام كلثوم الى ازمة
نفسية عرقلتها في حياتها

المسافات التي كان يجب أن نقطعها مشيا على الاقدام وارتفع
دخلنا حتى أصبح في قدرتنا أن نركب قطار السكة الحديد ..
ولكن في الدرجة الثالثة !

ومازلت أذكر السعادة التي شعرت بها وأنا أركب القطار لأول
مرة في حياتي كان القطار المسافر من محطة السنبلاوين الى
محطة أبو الشقوق وبخلت عربة القطار ، ووقفت على المقعد
أطل من النافذة والذى يمسك بذيل ثوبي ! ثم فوجئت بمنظر
غريب أثناء سير القطار ! لقد بدأت أشجار النخيل وأعمدة
التلغراف تجرى أمامي ! لقد هزنى هذا المشهد العجيب الى درجة
أنه لما وقف القطار في محطة « أبو الشقوق » أمسكت بالنافذة
ورفضت النزول !

ووعدني والدي أنني سأعود الى ركوب القطار غدا ولكنني
رفضت أن أصدقته ! وهنا أقسم لى بالله فصدمته ، وهزلت
من القطار !



في هذا البيت ولدت
أم كلثوم وعاشت
طفولتها ، ولم يدرى
أحد أن هذه الطفلة
ستربع يوما ما على
قمة المجد الفني .

وذهبنا الى الحفلة . وكانت مقصورة على القادرين ، فان
ثمن التذكرة كان قرشا !

وافتتحت الحفلة بخناقات بين الجمهور استغرقت ساعة كاملة
وبدأت أغنى التواشيح فعاد الخناق واستمر ساعة أخرى
ودامت الحفلة أربع ساعات منها ثلاث ساعات ونصف ساعة
خناقات ومعارك بين المفرجين واستغرق الغناء نصف ساعة فقط !
وكانت الخناقات والمعارك من لوازم الأفراح في الريف . ولهذا
كان محصولنا الغنائي لا يتجاوز عادة أكثر من نصف ساعة . . .

وفي بلدة « ميت رومي » في البحر الصغير بشمال الدلتا
وقعت لنا مفاجأة لم نحسب حسابها !

بدأنا الغناء ، فلم يتخاف أحد ! تركنا الجمهور نغنى بلامقاطعة
ولا معارك ! وغنينا كل ما عندنا في نصف ساعة . . . والمفروض
أن تستمر الحفلة الى الفجر ! وتصور أبي أن ساعته قد توقفت

ثم رأى العقرب يتحرك ! وحار أبى وأفراد التخت كيف يواجهون هذه المفاجأة ! وقرر أبى أن نعيد على المستمعين نفس التواشيح التى سمعوها منذ نصف ساعة ! ولم يحتج الجمهور على الاعداء والتكرار

ورحنا نعيد نفس التواشيح للمرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة !

وبعدها بدأ والدى يستعد للمفاجآت بدأ يستعد للحفلات التى لا يتعارك فيها الجمهور ولا يتضارب ! وبدأ يمررنا على حفظ أغانى جديدة زيادة على الاغانى التى كنا نكررها فى كل حفلة ولا تستغرق فى مجموعها أكثر من نصف ساعة !

وفى ذات يوم ذهبنا الى الغناء فى قرية مجاورة للقرشية بالقرب من مدينة طنطا

وقبل بدء الحفلة قادنا صاحبها الى السراق الذى سنغنى فيه وأشار الى فانوس وقال لنا لما ينكسر الفانوس ده .. ادخلوا الحجرة دى !

ولما ظهرت على وجه أبى علامات الدهشة قال الرجل بقى أنا لابسوز ابنى ولا بنتى ! جايينكم علشان اهل البلد المجاورة يحضروا نقوم نضربهم !

ولما بدأت أغنى ، كنت أغنى للفانوس ! كنت أقول للفانوس سبحان من أرسله رحمة لكل من يسمع أو يبصر ! وكنت أركز عينى وعقلى وكل حواسى فى هذا الفانوس .. حتى أهرب عندما ينكسر !

وفعلا انكسر الفانوس !

وبدا الضرب بالعصى والنباييت !

وبعد انتهاء الخناقة خرجنا من الخبا وفوجئنا بأن اهل القرية المجاورة هم الذين ضربوا الذين أعدوا الكمين لضربهم !

★ ★ ★

ولم تكن متاعبنا مقصورة على المارك والخناقات كانت بعض متاعبنا بسبب بساطة بعض اهل الريف

وحدث أن اتفق معنا اهالى قرية مجاورة لمركز نبروه على احياء فرح فيها .. ومشينا عدة كيلومترات من قريتنا الى مركز

السنبلاوين ثم ركبنا القطار الى المنصورة ، ثم ركبنا قاربا صغيرة عبرنا النيل الى طلخا ، ثم ركبنا قطار الدلتا الى نبروه

ولم نجد أصحاب الفرع فى انتظارنا كما هى العادة

وبرر والدى هذا التصرف بأنه لابد أن اهل الفرع انشغلوا فى اعداد الفرع .

واستأجرنا مطايا « حميرا » وذهبنا بها الى القرية التى سيقام فيها الفرع ، وسألنا عن بيت صاحب الفرع فقادونا اليه .

ودار الحديث التالى بين والدى وصاحب الفرع

والدى انتم نسيتمونا والا ايه ؟

وسكت صاحب الفرع

والدى يعنى لم ترسلوا « ركوبة » الى المحطة !

وسكت صاحب الفرع ، وظهرت على وجهه علامات الدهشة

والدى موش النهاردة الخميس ميعاد الفرع ؟

فأجاب صاحب الفرع ببساطة

- ما احنا اجلناه !

والدى اجلتم ايه ؟

- اجلنا الفرع !

والدى طيب ما أرسلتش لنا خبر ليه ؟

وعادت الدهشة الى وجه صاحب الفرع وقال كل البلد عارفه

ان الفرع تأجل ! ولد يا خليل ؟ ولد يا حسين ؟ ولد يا سيد ؟

موش احنا اجلنا الفرع ؟

وهز القرويون خليل وحسين وسيد رؤوسهم بالموافقة

وقال صاحب الفرع ببساطة شايفين ! كل الدنيا عارفه اننا

اجلنا الفرع !

ورجعنا كما حضرنا ! عدنا الى محطة نبروه ثم ركبنا قطار

الدلتا الى طلخا ، ثم عبرنا النيل بالقارب الى المنصورة ، ثم

ركبنا القطار الى السنبلاوين ثم مشينا على الاقدام الى قريتنا الصغيرة !

وكان والدى يتتبع باهتمام تصرفات كبار المطربين والمطربات

حتى اقلدهم واوهم الناس اننى مطربة كبيرة !

واكتشف أبى ذات يوم اكتشافا هاما ! اكتشف أن الشروط
الفنائية تنص على أن المطرب « الصييت » الشيخ حسن جابر
يشرب الكازوزة فى الحفلات ! فاضاف الى عقودنا بندا جديدا
يتعهد صاحب الحفلة بتنفيذه

وكان هذا البند هو أن يتعهد الطرف الاول بأن يقدم للطرف
الثانى « أم كلثوم » زجاجة كازوزة !
ومافئش حد أحسن من حد !

وكننت سعيدة بحياتى ! سعيدة بالحمار الذى أركبه وطبق
المهلبية الذى ألتهمه .. وزجاجة الكازوزة التى أشربها !

وبدأت شهرتنا تملأ الآفاق ! وكانت الآفاق هى القرى المجاورة
لمركز السنبلولين ! ووصل أجرى مع الفرقة التى تتألف من خمسة
من المشايخ الى مائة قرش عن كل حفلة نقيمها !
وبدأت شهرتنا تزحف !

وعندما ارتفع أجر الفرقة من مائة قرش الى مائة وخمسين
قرشا أصبحنا أثرياء

ورأى أبى أن نقلد الأثرياء ! أنهم يلتقطون لأولادهم صورا
فوتوغرافية .. فلماذا لا نذهب نحن أيضا الى المصوراتى ؟

وذهبنا الى مصوراتى فى مدينة الزقازيق وأصبت أنا وأخى
بنوبة من الضحك أمام المصوراتى ! فقد كان المصوراتى يقف وراء
الكاميرا تحت الملاء السوداء وكان منظرنا غريبا جعلنا نفرق فى
الضحك !

وراح المصوراتى يرجو أبى أن يمنعنى أنا وأخى من الاستمرار
فى الضحك حتى يلتقط الصورة .. فان أصول التصوير يومها
كانت تقضى بالا يضحك أبدا صاحب الصورة ! يجب أن يقف
جامدا كالتمثال حتى يلتقط المصور صورته ! وبعد محاولات
متكررة تحولنا الى تماثيل ! والتقطت أول صورة لنا !

وكان أبى غير مستريح لفكرة اشتغال ابنته بالفناء كان
لا يمانع فى أن يغنى ولده أما أن تغنى ابنته فلا !

وكان هذا هو السر فى العقال الذى وضعت على رأسى عدة
سنوات ، كان والدى يريد أن ينسى أن ابنته هى التى تغنى كان
يريد أن يوهم نفسه أن أم كلثوم ولد لا بنت !

ومسحت «بقدمى الصغيرتين القطر المصرى قرية قرية
قبل أن أضع قدمى فى القاهرة

وشاء حظى أن أترك فى كل قرية عددا من المعجبين بصوت
الطفلة الصغيرة !

ورأى والدى أن يستغل نجاحى وشهرتى فأصر على فرض
شرط اضافى على أصحاب الحفلات فى القرى المجاورة !

وكان الشرط الاضافى هو أن يتعهد صاحب الحفلة بأن يقدم لنا
حميرا تحملنا من قريتنا الى مكان الحفلة ذهابا وايابا !

وكان « الطرف الاول » ينفذ نصف الاتفاق ويهرب من
تنفيذ النصف الثانى !

كان أصحاب الحفلات يرسلون لنا الحمير لتحملنا الى مكان
الحفلة فاذا انتهت الحفلة اخذت الحمير ! وهكذا كنا نركب
« ذهابا » ونمشى « ايابا » !

ولم تكن المسافات التى نقطعها مشيا على الاقدام مسافات
بسيطة كانت عادة تتراوح بين كيلو مترين وخمسة كيلو مترات .

ولم يكن السير على الاقدام أصعب متاعبا !

كان الانتظار على أرصفة المحطات هو تعبنا الاكبر ! فقد كنا فى
كثير من الايام نقف على رصيف المحطة ١٢ ساعة كاملة !

كانت القطارات تمر أمام المحطة مرتين مرة فى الساعة
السادسة صباحا ومرة فى السادسة مساء !

وكنا بعد انتهاء كل حفلة نعود الى المحطة وفى كثير من
الايام كنا نصل الى الرصيف بعد قيام القطار بدقائق فقد
كانت قطارات زمان مع الاسف تتحرك فى مواعيد محددة !! ولهذا
كنا نضطر الى الانتظار ١٢ ساعة على الرصيف !

وكان الانتظار فى معظم الايام وسط البرد الشديد أو تحت
الامطار الغزيرة التى كانت تحرص على استقبالنا فى كل محطة
نلجأ اليها !

وفى أحد الايام عرف أبى سر مفتاح باب استراحة الركاب !
وكان المفتاح هو حنجرة أم كلثوم !

لقد أقنع والدى ناظر المحطة بأن يفتح لنا استراحة الركاب
وكان الثمن هو أن أغنى للناظر !

وغنيت على أرصفة مئات من محطات الوجه البحرى
وبدأت أكتشف أن الدنيا أكبر من الوجه البحرى وأن هناك
مدنا أخرى لا تقل أهمية عن المنصورة والزقازيق !
اكتشفت أن هناك مدينة جديدة اسمها القاهرة اكتشفتها
بمحض الصدفة !

فقد حدث فى أثناء حديث عابر بين الثرى عز الدين يكن وناظر
عزيبته ، أن قال صاحب العزبة أنه سيقم فى قصره بخلوان كعادته
كل عام احتفالا ببليلة المعراج فقال ناظر العزبة
- والله عندنا بنت صوتها حلو !

فقال صاحب العزبة هاتها تغنى لنا !
وسافرنا مع ناظر العزبة لأول مرة الى القاهرة ! ولا أذكر شيئا
عن المدينة الكبيرة . أن صورتها الصاخبة لم تعش فى ذاكرتى !
كل ما أذكره هو محطة باب اللوق ! ففى هذه المحطة اشترى
لى والدى « كراملة » أعجبتنى وجعلتنى أتصور أن القاهرة بلد
والكراملة ، الحلوة

وذهبنا الى قصر عز الدين بك يكن وخرج صاحب القصر
لاستقبالنا ونظر لى من تحت الى فوق عدة مرات ثم سأل فى
دهشة « هى دى اللى ح تقرا فى المولد » ؟

ولما هز ناظر العزبة رأسه موافقا صاح عز الدين بك ايه لعب
العيال ده ! بلاش كلام فارغ ! انزل مصر حلالا ! وروحوا هاتوا
الشيخ اسماعيل سكر ! يحيى لنا الحفلة !

ووضعونا مع الخدم فى البدروم ولم أدهش من هذه المعاملة ،
ولم أشعر بأى اهانة لحقتنا ! وجلسنا الساعات فى البدروم
والشيخ اسماعيل سكر يغنى للمدعوين ! وبعد أن أطرب الشيخ
سكر المدعوين واطمان صاحب الحفلة على نجاح حفلته قال
الثرى عز الدين يكن للخادم « هاتوا البنت تغنى ونشوف
حتقول ايه ! »

وخرجنا من البديوم الى الدور الاول
وصعدت الى كنية وبدأت اغنى !
واستعاضنى الحاضرون عدة مرات ! واستعاضنى معهم المطرب
الكبير الشيخ اسماعيل سكر نفسه !
ثم جاءنى أحد الخدم وقال لى الست عاوزة تشوف البنيت
فى الحرملك !
وصعدت الى الحرملك انا وأخى خالد وأدخلونا صالونا
كبيراً مليئاً بالاثاث الفاخر
وسمعنا صوتاً يقول لنا اتفضلوا !
ولتقتنا نبحت عن مصدر الصوت فلم نر أحداً فى الصالون !
وعاد الصوت يقول لنا اتفضلوا اتفضلوا !
وعدنا نبحت عن صاحب هذا الصوت فى أرجاء الصالون !
وعاد الصوت يقول اتفضلوا اتفضلوا اتفضلوا !
وهنا رأينا صاحب الصوت انه طائر فى قفص !
وأصبت بالفزع وصرخت غراب يتكلم ! غراب يتكلم
وعدت مع أخى من الصالون فى فزع ! واصطدمت عند الباب
بحرم عز الدين بك يكن وأنا أرتجف من شدة الخوف !
وراحت تهدىء من روعى وتسألنى عن سبب فزعى فرحت
أصرخ غراب غراب غراب بيتكلم !
وضحكت صاحبة البيت وقالت لى انه ليس غراباً انه ببغاء
والببغاوات تتكلم !
وعدت الى قريتى أحدث أصدقائى وصديقاتى عن القاهرة بلد
العجائب .. انها البلد التى تتكلم فيها الغربان !



اول تمثال لام كشوم
صممه الفنان مختار
سنة ١٩٢٦



من مذكرات أم كلثوم

قرار من أبي : لن نعود إلى القاهرة !

« عندما نتعلم نعرف مكاننا بين
العلماء ٠٠ وقد عرفت مكاني » !
أم كلثوم

كنت أغنى بلا احساس ولا شعور !
كنت أردد الاغانى التى أسمعها من أبى بنفس الطريقة
التي يردد بها التلميذ الصغير جدول الضرب ، وقواعد النحو
والصرف !

ثم غيرنى فونوغراف

كان فونوغراف العمدة فقد سمعت على هذا الفونوغراف
صوت الشيخ أبو العلا ، وهزنى صوته • كنت أشعر وأنا أسمعه
انه يغنى لى وحدى • وسمعت صوته مئات المرات وهو يغنى :
« أفديه ان حفظ الهوى أو ضيماً ! » وسمعته وهو يغنى « وحقك
أنت المنى والطلب » • وقصيدة « غبرى على السلوان قادر »

كان الفونوغراف يسكت • ولكن صوت الشيخ أبو العلا كان
يستمر يغنى فى أذنى !

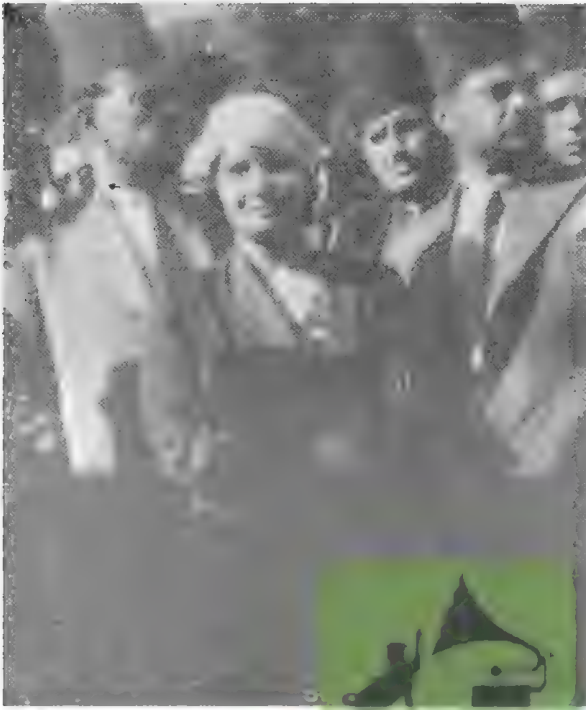
• كان أطفال القرية يرددون أغنية « أنا نازلة أدلع املا القلقل
أما أنا فكننت أعيش مع أغانى الشيخ أبو العلا ، وكنت أتصور أنه
قد مات ! لم يخطر على بالى أن صاحب هذا الصوت يعيش فى
الدنيا التى أعيش فيها !

ومرت السنون ••

وفى يوم من الايام كنت فى محطة السنبلاوين ، فسمعت صوتا
يقول : الشيخ أبو العلا هنا !

ولم أصدق أذنى !

ورأيت أبى يسرع نحو الرجل الكبير ويصلفحه فى احترام ••
واسرعت وراءه وامسكت يده ، ورحت أحدثه على الفور عن اعجابى
وتحول الشيخ أبو العلا عنى ليستأنف حديثه مع الآخرين •• ولكنى



بين عدد من المحبين
بنها ، ولقت أم كلثوم
في السنوات المبكرة
لحياتها الفنية ..



منعته من ان يكلم احدا غيرى ! امسكت بيده ورحلت الح عليه ان
ياتى معى لزيارتنا فى القرية واحس الرجل الكبير بتعلقى به
وجاء معى الى بلدنا الى قرية « طماى » !

ودخلت الى امى قلت لها ان اهم انسان فى الدنيا سيتناول
معنا الغداء . كل حاجة عندك قدميها له ادبجى كل الفراخ
اللى عندنا واللى عند الجيران !

كنت لا اصدق عينى ! كنت اتصور اننى ارى « مناما » ولا
اعيش فى الحقيقة !

ولما جلست امامه طلبت منه ان يغنى ! فطلب منى ان اغنى له
اولا ! ورفضت ! فقد شعرت اننى لن اجسر على الغناء امام هذا
العملاق واحسست انه ليس من المعقول ان اخدش اذننى هذا
المغنى العظيم بصوتى



ام كلثوم سنة ١٩٢٦
.. صورة اخرى لامثيل
لها عند ام كلثوم ..

ولكن ترددى ذاب أمام قوة شخصيته وبدأ هو يغنى لى !

وشعرت أن فى بيتنا أجمل احلامى وأحسست بضربات قلبى
وأنا اسمع صوته ! كنت اسمع قيثارة أجمل من الفونوغراف •
فقد كان الشيخ أبو العلا أعظم مغن سمعته فى حياتى • ولا يزال
هذا رأى حتى اليوم انه أحسن من غنى وأحسن من لحن المعانى
قبل الالفاظ

وكان الرجل الكبير كريما معى فقد استمر يغنى استمر
يغنى لى وحدى عدة ساعات ..
واقترح الشيخ أبو العلا على والدى أن يترك قرية « طماى »
الصغيرة وينتقل الى القاهرة فدهش أبى من هذا الاقتراح !



ام كلثوم تعزف على
المود...التقطت هذه
الصورة لها سنة
١٩٢٦ ايضاً

وقال والدى ! ان طماى بلدنا وعارفانا وعارفينها ولا يمكن
ان نترك طماى !

ورد الشيخ أبو العلا ان مستقبل ابنتك اكبر من « طماى » ..
وحرّام ان تحبس هذه الموهبة فى قرية صغيرة !

ولاول مرة فى حياتى بدأت اناقش والدى !

وغير أبى موضوع الحديث !

ولكنى رحت « ازن » والى وارجو وعاد أبى يغير موضوع
الحديث !

ولكنى لم اتعب من « الزن » والالاح ! الى ان وقع لى حادث
مسح فكرة الاقامة فى القاهرة من كل أحلامي !

فقد اتفق أحد أهالى القاهرة مع أبى على أن أغنى فى فرح ابنه
فى كوم الشيخ سلامة المجاور لحي العتبة الخضراء بالقاهرة
وعند سفرى الى القاهرة أخذت معى « تحويشة العمر »

انها الخمسة عشر جنيها التى ادخرتها من مصروفى «وعيديتى»
فى الاعياد

ونزلنا فى بيت صغير انه بيت صاحب القرح
وقبل خروجنا من البيت لاحياء الحفلة ، وضعت ثروتى الضخمة
فى جيبى

ولما انتهت الحفلة وعدت الى البيت ، اسرعت الى تحويشة العمر
لاخرجها من جيبى ٠٠ فلم أجدها ! اختفت تحويشة العمر التى
تصورت اننى سأشتري بها مدينة القاهرة كلها !

ولم أصدق عينى ! رحت أبحث فى جيبى وجيب اخى وتحت
الكرسى فلم أجد لها أثرا ! ولم أذرف الدموع كانت نكبتى
اقوى من الدموع !

وأخفيت الحادث عن أبى فى اول الامر ثم اضطرت أن
أعترف ٠ ولن أقول الآن ما قاله أبى لى وقتها

وعاهدت نفسى الا أزور القاهرة بعد ذلك
ولكن نداء القاهرة كان اقوى من ضياع اموال قارون !

فقد عدنا للقاهرة مرة اخرى واقمنا فى حجرة بلوكاندة
جوردون هاوس ، التى تطل على شارع فؤاد (٢٦ يوليو الآن)
ومن شرفة حجرتى بهذا الفندق رأيت السينما لأول مرة فى حياتى !
فقد كانت تطل على سينما « جوزى بالاس » رأيت رجالا ونساء
يتحركون على الشاشة البيضاء ٠ رأيت شابا يقبل فتاة رأيت
دنيا غريبة لم أشهدها لا فى طماى ولا فى الزقازيق ولا حتى
فى المنصورة !

ولم يخطر ببالى وأنا واقفة فى شرفة حجرتى بفندق جوردون
هاوس أن ام كلثوم ستظهر فى يوم من الايام على هذه
الشاشة البيضاء !

وكان فى حجرتنا بالفندق ثلاثة سراير لأبى ولأخى ولى

وكنت أتصور أن هذا الفندق المتواضع هو أكبر فنادق القاهرة
فلم أكن يومها قد سمعت عن شبرد وسميراميس !

وكانت بحجرتنا الصغيرة شرفة تطل على شارع فؤاد وشرفة
أخرى تطل على المدرسة الإعدادية وكان الشيخ أبو العلا يحضر
الى زيارتنا واجلس بجانبه أستمع الى كلامه وغناؤه

كنت أسهر طوال الليل أسمع أحب الاصواب الى قلبى ! فقد
كان غناؤه أحب الى من النوم !

وفى احدى الليالى ونحن جالسون فى الشرفة غنى لى الشيخ
أبو العلا ثم التفت الى وقال أنا غنيت لك كثير ماغننى لى
بقى ١٠٠ !

وغنيت له !

وسكت الشيخ طويلا ثم رأيت دمعة تسقط من عينه ثم
قال لن أفترق عن هذا الصوت طول عمري !

وفعلا لم نفترق منذ تلك اللحظة كان يصحبني مع أبى وأخى
فى كل حفلاتى وفى كل مكان أذهب اليه

وغيرنى الشيخ أبو العلا علمنى أن أفهم الكلام قبل أن أحفظه
وأغنيه !

فقد كنت حتى هذه اللحظة مثل بغيام الثرى عز الدين يكن
أردد الكلام بلا فهم ولا اهتمام !

وبدأت الكلمات غير المفهومة تتعثر فى فمى وترفض الخروج
من بين شفتى !

وفى احدى الليالى كنت أغنى مع أفراد الفرقة جل من طرز
الباسمين فوق خدك بالجلنار واصطفى ذا الجمان الثمين معدنا
من لماك العقار !

ووقفت كلمة « الجمان » فى فمى ورفضت الخروج من بين
شفتى ! وتركت باقى أفراد الفرقة ينطقون الكلمة وحدهم !

وتصور أبى أننى نسيتها فلم يعر الامر اهتماما !

ولما تكرر وقوفى عند كلمة « الجمان » أحس والدى بأن المسألة
ليست مسألة نسيان فسألنى لماذا لا أغنى هذه الكلمة ؟

وأجيبته موش عارفة أقولها ازاي موش عارفة أقولها وأنا
باضحك والا أقولها وأنا مكشرة أنا موش فاهمة معناها ايه !

وكانت هذه هي المرة الاولى التي أواجه فيها والدي بما تعلمته
من الشيخ أبو العلا وهو أنه يجب أن أفهم المعاني قبل أن
أغني الكلمات !

وعن طريق الشيخ أبو العلا عرفت الشاعر أحمد رامى !

فقد التقي أحمد رامى بالشيخ أبو العلا ذات يوم وسأله فيه
بنت بتغنى اسمها أم كشموم ٠٠ ايه رأيك فيها ؟

فأجاب الشيخ أبو العلا دى بتقول لروحها « أه » !

وفى احدى حفلاتى بحديقة الازبكية اقترب منى شاب وقال لى
أنا أحمد رامى !

ورأيت أمامي لأول مرة الشاعر الذى أغنى أشعاره !

وأردت أن أقول لهذا الشاعر أهلاً فغنيت له قصيدته
« الصب تفضحه عيونه » وكانت مفاجأة له ٠٠ !

وكان رامى يحب الغناء وكنت أعشق الشعر

وكانت هوايتى للشعر قد بدأت بكتاب وجدته مع أخى ! أخذته
منه لأتفرج عليه كان الكتاب هو قصة « العبرات » لمصطفى
لطفى المنفلوطى !

وأمسكت الكتاب لأتفرج عليه وأعيده الى أخى !

وفتحت الصفحة الاولى ولم أترك الكتاب الا بعد أن وصلت
الى الصفحة الاخيرة ٠ وعشقت المنفلوطى قرأت له « النظرات »
و « العبرات » وكل القصص التى كتبها !

★ ★ ★

وفى أحد الايام شعرت بجوع للقراءة أردت أن اقرأ رحلت
أقلب كتب القصص التى توجد فى بيتنا الصغير فوجدت أننى
قرأتها كلها قرأتها عشرات المرات وبدأت أبحث عن كتاب جديد
وفى تلك اللحظة بدأت هوايتى للشعر كنت أحفظ الشعر ولا
أفهمه كنت أتصوره كلمات موزونة يعدها الشعراء للغناء

وفى أحد الايام رحلت أبحث فى حجرتنا الصغيرة عن كتاب
أسلى به نفسى . وفتحت ديوان شعر ابن الفارض وقرأت
البيت الأول فى القصيدة ففهمته ورحلت أقرأ باقى القصيدة
فى لهفة

وبعد ديوان ابن الفارض قرأت ديوان ابن الرومى والبحترى
ثم قرأت الاغانى الذى يتألف من ١١ جزءا واخترت منه قصائد
جديرة بأن تغنى

ثم قرأت « الامالى والحماسة » وبدأت أشتري دواوين
الشعراء بعد أن كنت أستعيرها من أبى وقرأت ديوان المتنبى
والشريف الرضى ومهيار الديلمى

وأصبحت أعشق الشعر !

أصبحت أقرأ القصيدة بنفس اللهفة والمتعة والشغف التى تقرأ
بها فتاة أول قصة غرامية !

وكان لأحمد رامى الفضل كل الفضل فى تذوقى الشعر وتفهم
معانيه كان يقدم لى فى كل مرة يزورنى فيها ديوان شاعر

وتعلمت موازين الشعر ، لدرجة أننى بدأت أحس بالبيت
المكسور والبيت الذى يقف على قدميه !

ولكنى لم أفكر فى يوم واحد أن أنظم بيتا واحدا من الشعر
لعل السبب هو كثرة قراءتى ولأننى قرأت الشعر الجيد
وتذوقته ..

ولولا قراءتى لحاولت أن أنظم عددا من القصائد أعبر فيها عن
مشاعرى ولكننا عندما نتعلم نعرف مكاننا بين العلماء وقد
عرفت مكانى !

واستمرت صداقتى بأستاذى الشيخ أبو العلا سنين طويلة
كنت أبحث عنه فى كل مكان لاستظل برعايته وأستاذيته وكنت
أطالبه فى كل مرة نلتقى فيها بأن يغنى لى ! كان غناؤه هو غذاء
روحى .

وفجأة ثقل لسانه وأصبح يتعثر فى نطق الكلمات
ومع ذلك كان يغنى لى ! وعندما يخونه صوته أثناء الغناء كان
يقول لى

- انت عارفه انا عاوز اقول ايه ؟

وفى احدى الليالى فوجئت بوفاة الشيخ أبو العلا
وامتلأ راسى بقصائد الشعراء بعد أن امتلأت روحى بأغاني
الشيخ أبو العلا

ولم أستطع أن أبقي فى بيتى
ولم أحتمل أن أذهب الى بيته !
مشيت فى شوارع حى الزمالك شارعاً شارعاً ولم أذرف
دمعة واحدة !

مشيت الى شارع فؤاد ثم الى شارع الملكة نازلى ثم عدت
أمشى فى شوارع الزمالك مرة أخرى ! كنت أتصور أنني سأغسل
شوارع القاهرة فى تلك الليلة بدموعى ولكن دموعى تحجرت
فى عيني

وكان يمشى معى أخى خالد وعازف الكمان سامى الشوا كانا
يحاولان اقناعى بالبكاء تحت أى سقف ولكننى كنت أرفض
وقضيت الليل هائمة على وجهى . أبكى بغير دموع أستاذى الذى
علمنى كيف أعبر عن المعانى بالنغمات .



وتعرفت بكبار الموسيقيين وبالأستاذين حسنى أنور وأمين المهدى
وهو أبرع من عزف على العود ونشأت بيننا صداقة عائلية
وأثناء اصطيفائى بالاسكندرية زارنى أمين مهدى ودعانى لزيارة
بيته الذى يطل على ترعة المحمودية وفى هذا البيت التقيت بأول
صديقة لى

كانت تلميذة فى « الميردى ديبه » وكان اسمها روحية المهدى
انها ابنة أمين المهدى .

لقد أصبحنا صديقتين بعد ساعة من اللقاء أحسبنا تجاوبا
عجيبا ، شعرت كل منا أنها تعرف الاخرى منذ سنوات وسنوات !
وبدأت صداقتنا تقوى على مر الايام

ولما انتهت شهور الاصطياف وعدنا الى القاهرة كنت احرص على زيارة بيت أمين المهدي كل يوم أحد فقد كان يوم الأحد هو أجازة روحية من مدرستها

وكانت روحية تقيم فى بيت بباب الخلق يواجه دار الكتب وفى كل اسبوع كنت أقطع المسافة من شقتى بعمارة بهلر بالزمالك الى ميدان باب الخلق لالتقى بصديقتى التلميذة وافتح لها قلبى وتفتح لى قلبها وتحدثنى عن أحلامها وأحدثها عن أحلامى .

وكانت القاهرة بالنسبة لى هى الطريق من الزمالك الى باب الخلق فقد كنت لا أخرج من بيتى الا لأذهب الى روحية يوم الأحد أو لأذهب فى المساء الى حديقة الازبكية لأغنى أو عندما أذهب فى الليل الى الفرع الذى سأغنى فيه .

وفى خلال السنوات الأربع الاولى التى أمضيتها فى القاهرة كانت العاصمة بالنسبة لى هى شارع فؤاد « ٢٦ يوليو الآن » وميدان قصر النيل وميدان عابدين وميدان باب الخلق

فى خلال السنوات الأربع لم أدخل السينما مرة واحدة ! فى خلال السنوات الأربع لم أدخل محلا تجاريا مشهورا أو مطعما كبيرا

فى خلال السنوات الأربع لم أدخل الا مسرحا واحدا هو مسرح الماجستيك فقد كان والدى يحب روايات الكسار

وكانت معلوماتى عن القاهرة هى ما أقرؤه فى الصحف والمجلات، وأسمعه من الناس

ومع هذا الحصار الذى كنت أعيش فيه أحببت القاهرة وعشقته كنت أحس أننى أعيش فى أجمل بلد فى الدنيا أحببت أهلها

وجدت فى هذه المدينة الحلوة ضمانا واهتماما وتشجيعا . وجدت فيها مجدا لم يخطر لى على بال !

وفى يوم من الايام عاد والدى الى بيتنا وهو متجهم الوجه ودخل حجرته ونادى على والدتى فدخلت واقفلا الباب وسمعت همسا لم أهتم به

ولكنى رأيت أمى تفتح الباب وتبدأ فى حزم الحقائق

وسألت أمى ماذا جرى

فسكتت ولم ترد استمرت تملأ الحقائق بالملابس

وسألت والدى فقال بحزم خلاص ! احنا راجعين بلدنا !
لن نبقى فى مصر بعد الآن ٠٠ ولن نعود أئيبا !

ودهشت من هذا القرار العجيب

كيف نهجر القاهرة وقد التقيت فيها بمجد لم أحلم به كيف
أهجر « أم الدنيا » بعد أن أحببتها وأحببت من فيها وبعد أن
التقيت فيها بحظى

ورحت أئبح على والدتى أن تبرر لى قرار والدى ! رحت أقول لها
أريد أن أعرف لماذا سنهجر القاهرة

وأشارت لى والدتى الى مجلة ملقاة على الارض

والتقطت المجلة انها مجلة « المسرح » التى يصدرها الناقد
المسرحى عبد المجيد حلمى ورحت أقلب صفحات المجلة فى
لهفة ٠٠ فلم أجد ردا على سؤالى

وعدت أقرأها سطرًا سطرًا

ثم سقطت المجلة من يدي

لقد نشرت المجلة خبرا عجيبا عني ! كان خبرا كاذبا عن سمعتى
ولكن المرحوم عبد المجيد حلمى كان يعجب فى ذلك الوقت بالسيدة
منيرة المهدية وبدلا من أن يقدم لها باقة ورد رمى تحت
أقدامها شرف المطربة الجديدة !

ولكن هل من العدالة أن يضحي أبى بمستقبلى بسبب
خبر كاذب ؟

هل من العدالة أن تدفع الضحية ثمن سكينه الجزار ؟

ان والدى يعرف أن الخبر لا أساس له من الصحة فهل
الطريقة للاحتجاج على الخبر أن نجمع ملابسنا ونهاجر الى
قرية طماي ؟

ورحت أستنجد بأصدقاء أبى !

رحلت أرجو كلا منهم أن يحضر لاقتناع أبى بالعدول عن الهجرة
من القاهرة

وجاء الاصدقاء الى بيتنا ليحاولوا اقناع أبى بالبقاء فى القاهرة
قالوا له ان ابنته أصبحت مشهورة وأن للشهرة ضرائب يجب
ان يدفعها صاحبها ! وأولى هذه الضرائب أن يحتمل نشر الاكاذب
التي تنشرها عنه بعض المجلات الصغيرة

ورفض أبى وساطة هذه الوفود أصر على الهجرة الى قريتنا
طماى .

وعندها استسلمت للأمر الواقع وجلست فى حجرى أكتب
خطابات وداع لصديقاتى ومعارفى كنت أكتبها بدموعى

وبين الخطابات التى كتبتها خطاب عصرت فيه قلبى ! أرسلته
الى صديقتى التلميذة فى مدرسة « الميردى ديبه » . لقد كتبت
هذا الخطاب بدموعى حدثتها عن قرار أبى . ورحلت أودعها
وأودع القاهرة الحبيبة وكأننى أودع الدنيا كلها !

وجاءت أسرة المهدي الى بيتنا فرجدوا الحقائق معدة !
وتكلمت سيدات الأسرة ونحن يناقشون والدى فى قراره فى
بلاغة وحكمة ومنطق

ولم يقتنع أبى !

ثم ركزن سهامهن على عاطفة أبى وحبه لى قلن له ان
قراره سيقضى على مستقبلى ! سيدفن المجد الذى كان ينتظرنى
تحت تراب قرية طماى

ولم يقتنع أبى
وأخيرا تكلم أمين المهدي

قال لأبى ان معنى مغادرتكم القاهرة أن الخبر الذى نشرته
مجلة المسرح « عن أم كلثوم هو خبر صحيح فالناس تهرب
من الحقيقة ، ولا تهرب من الاكاذيب !

وقام أبى من مقعده وبدأ يفتح حقائبنا ويخرج منها الملابس
وحتى ذلك اللحظة كنت أقيم فى القاهرة فترات متقطعة ثم أعود
الى الريف

أما الآن من هذه السنة - ١٩٢٦ - فقد بدأت أقيم فى القاهرة
بصفة أساسية ولكنها كانت إقامة صعبة جدا فى البداية !!

★ ★ ★

انتهى الجزء الاول من مذكرات ام كلثوم ..

والسؤال الآن : كيف كانت القاهرة سنة ١٩٢٦ ؟ القاهرة التى
سنشهد من الآن فتاة قروية ترتدى عقالا وبالطو أزرق ..
وتغنى المدايح النبوية ؟ ..

سؤال يجيب عليه الفصل التالى ، قبل ان نعود من جديد الى
مذكرات ام كلثوم ..





القاهرة ٢٦

في القاهرة غناء للرجال وغناء للنساء • في
القاهرة موسيقى للفقراء وموسيقى للأغنياء؟

القاهرة : ١٩٢٦ البيضة فى مصر بمليم
رطل اللحم بقرشين • مشفى بثلاثة قروش

علبة السجائر ماركة « العنبرول » بقرشين
الأوتوموبيل الفاخر خمسة محلات بـ ٣٦٠ جنيها
الرواية المقررة على طلبة البكالوريا هى زهراب ورستم
على أفندى الكسار بربرى مصر الوحيد يمثل رواية البربرى
فى الجيش •

نابغة مصر فى التمثيل يوسف وهبى يقوم ببطولة رواية الذبائح •
المستر سمسون رئيس النيابة المختلطة بالمنصورة يحضر حفل
مدرسة المنصورة الاميرية •

و ٠٠ نحن فى سنة ١٩٢٦ ٠٠

السكان فى القطر المصرى كله عددهم محدود • بالضبط ١٢
مليوناً و ٢١٧ ألف نسمة • من بين كل مائة من السكان فى مصر
هناك ٢٦ يموتون بعد سنة من مولدهم • المرض وسوء التغذية
سبب ذلك •

الذين يعرفون القراءة والكتابة فى مملكة مصر – مجرد القراءة
والكتابة – عددهم ١٩٧ فرداً فى كل ألف من السكان •

الصحف فى مصر محدودة • الاخبار فيها محدودة أيضاً
منها تلك العناوين المنشورة فى مقدمة هذا الفصل

من الاخبار التى تبرزها مجلة « اللطائف المصورة » أيضاً
خير يقول « ٠٠ يشاع أن الحكومة المصرية تنوى فتح نفق من
السيدة زينب الى محطة باب الحديد لمرور سكة حديد حلوان تحت
الارض بعد أن تتحول قاطراتها من بخارية الى كهربائية » • أن



ام كنتوم فى راس البحر
جلسة على البلاج مع كتاب عن الشعر العربى القديم

الزحام سبب فى هذا المشروع ببطء القطارات سبب آخر ان السفر بالقطارات من القاهرة الى الاسكندرية يستغرق سبع ساعات لهذا يسمون القطار « المستعجلة » !

نفس المجلة تنشر على عرض صفحة كاملة منها صورة كتبت تحتها قائلة « هذه صورة اتحفنا بها المصور الشهير الخواجة زولا لحضرات اعضاء لجنة الاحتفال بتكريم فخامة المندوب السامى جورج لويد واللاى قرينته بصفته ممثلا لانجلترا صديقة مصر، الذى نحى فيه رسول السلام بين الشعبين » !

هذه واحدة من مظاهر كثيرة لتفسيخ المجتمع المصرى فى تلك الفترة فيعد ثورة عظيمة قام بها الشعب سنة ١٩١٩ بدأت مصر تحارب نفسها ٠٠ بينما يتفرج عليها محتل غاصب وحاكم مستبد . ولقد ادى انتكاس الثورة الى تفشى ظواهر مرضية فى المجتمع المصرى

فالانتهازيون والوصوليون منتشرون فى الحياة العامة . لخصهم سيد درويش منذ سنوات عندما غنى فى أوبريت « العشرة الطيبة »
علشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى نطاطى نطاطى !

والصراع دائر علنا بين الاحتلال ومجموعة من المثقفين الشبان أنتجتهم ثورة ١٩١٩ منهم طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد ومحمد حسين هيكل وفكرى أباطة .

والشكوى عامة من الانحلال الاخلاقى بسببها نشرت المجلات صورة لـ « نفر من اعضاء جمعية الشرف التى تأسست فى القاهرة لنشر الفضيلة ونصح الشبان بالابتعاد عن الرذيلة »

والرذيلة لها جمهور واسع يغذيها

من هذا الجمهور الجنود الانجليز الذين يمرحون فى شوارع مصر ويسهرون ليالها . أماكن السهر تنحصر بين ميدان الابرار فى القاهرة وبين شارع عماد الدين والفجالة . فى شارع عماد الدين تستطيع أن تشرب البيرة والويسكى . اذا أردت « العرقى » فاتجه الى الفجالة . « البوظة » فى شارع كلوت بك على امتداد هذه الشوارع تستطيع أن تقرأ هذه اللافتات « خمارة مانولى » ، « بار خريستو » ، مقهى « كوستى » بار «بنايوتى» خمارة « خرامبو »

واذا سرت فى شارع محمد على تجد على يمينك وعلى يسارك
دكاكين صغيرة علفت على جدرانها آلات الطرب من عود ورق
ودبكة فوق الدكاكين اعلانات بأسماء أصحابها من اهل الفن
« الاسطى حميدة » مثلا عوادة « الاسطى زوبه » عالمة
« نعيمة المصرية » أرتيست

داخل هذه الدكاكين توجد فئة من المتعهدين تسمى « المطيباتية »
ان « المطيباتى » يتفق مع الزبائن ويقتسم الاجر وفى ليلة
الفرح يرتدى الملابس المزركشة ويضع خاتما فى اصبغه . وطوال
غناء «العالم» فان المطيباتى مسؤل عن استمرار آهات المعجبين
من الجمهور فى كل مكان من السرايق

اذا وصلت الى شارع عماد الدين فسوف تجد كازينو دى بارى
مسرح البرنتانيا مسرح الاجبسيانا الريتسانس الابى دى
روز . الكوزمو ثم . مسرح رمسيس

هنا تجد نوعا آخر من اهل الفن والطرب والموسيقى

ان فى القاهرة موسيقى للفقراء وموسيقى للاغنياء
فى القاهرة غناء للرجال وغناء للنساء

فصاحب الفرح عندما يكون ثريا فانه يدعو نوعين من
المطربين . مطرب له وللوجهاء وآخر للجمهور العادى .

● ان مطرب الاغنياء يرتدى بدلة وهو صييت معروف باسمه
الشيخ حامد مرسى . اسماعيل سكر عبد اللطيف البنا . الخ
ومطرب الفقراء يرتدى الجلباب . انه صييت معروف بصفته
من هؤلاء مثلا فرقة الخضرى ، والقهوجى وحسين الكوجى ،
وشحات الحلوانى . الخ .

● مطرب الاغنياء يحيى الليلة الرئيسية ليلة الزفاف

ومطرب الفقراء يحيى الليالى السابقة على الزفاف

● وعندما يغنى مطرب الاغنياء يستأجر الثرى ماكينة كهرباء .
فالدعوى كلهم وجهاء . أما عندما يغنى مطرب الفقراء فان
صاحب الفرح يستأجر كلوبات غاز

● واذا اجتمع المطربان فى ليلة واحدة فان مطرب الاغنياء
يغنى فى الحفل . بينما الآخر يغنى فى الاستراحة !

● مطرب الاغنياء متفرغ للغناء . ومطرب الفقراء غير متفرغ .
لا يستطيع . . . ولذلك كان من الشائع أن يعمل بأكثر من حرفة . .
من بينها الغناء أو التلحين . فنجد فى شوارع القاهرة لافتة كتب
عليها « بائع يانصيب وسجاير . . ومغنى » . لافتة أخرى « ملحن
أناشيد ومقرئ مدائح نبوية ومشخص » . لافتة ثالثة « حانوتى
ومقرئ ومشخصاتى » . رابعة « دار الجيلاتى والتشخيص
والتلحين » ١ .

وعندما بدأت أم كلثوم تغنى فى القاهرة فلقد كانت ماتزال تنتمى
الى الدائرة الثانية : صالح عبد الحى يغنى فى ليلية الفرح ،
وهى تغنى فى الليالى السابقة على الفرح . هى نفسها تأتى الى
الفرح راكبة ، ثم تعود بعد الفرح سيرا على الاقدام . هى نفسها
فقيرة ، تغنى المدائح النبوية . ترتدى العقال على رأسها وبالطو
أزرق على جسمها . ملابس متواضعة . ومازال عليها أن تحارب
لكى تدخل الدائرة الاخرى المغلقة : دائرة المطربين المشهورين أو
نصف المشهورين . ان عليها أن تفعل ذلك مع الانخفاض الشديد
فى الاحترام الذى يعطيه المجتمع لأهل الطرب .

ان كلوت بك مثلاً قدم صورة حية لذلك عندما سبق أن سجل
فى كتابه « وصف مصر » يقول : « . . والمغنون المصريون الذين
صناعتهم الغناء يسمون بالآلاتية مفرد الآتى . وتتألف منهم فى
مصر طبقة محترقة فاسدة الاخلاق . اذا جئ بهم الى منازل
الخاصة تقاضوا أجرا لا يتجاوز ما يعادل ثلاثة فرنكات الى أربعة
فى الليلة الواحدة . والمدعون لسماعهم يقدقون عليهم عادة من
محض كرمهم شيئاً من المال يضاف الى تلك الاجرة الزهيدة . وتقدم
اليهم اثناء الغناء المشروبات الخمرية كالعرقى وغيره . وهم
يفرطون فى شربها . ويحدث أحيانا وقد لعبت الخمر بقولهم أن
يفقدوا رشدهم ويسقطوا على الارض . وفى مصر مغنيات يسمين
بالعوامل ، وهى كلمة أطلقها الاوربيون على جميع الراقصات من
غير تمييز ولا استثناء » .

ان كلوت بك يصف الغناء والموسيقى فى مصر خلال القرن
التاسع عشر . ومع ذلك فحتى هذه السنة ١٩٢٦ - كانت النظرة
الى الفن عموماً لم تتغير بعد كثيراً .

فعندما بدأ توفيق الحكيم يكتب للمسرح فى القاهرة خلال
العشرينات وصفه أحد أصدقائه قائلاً انه « . . منخرط فى زمرة
أهل الفن والعيان باله » ! من مذكرات توفيق الحكيم .

وعندما عبر المرحوم زكريا أحمد لأبيه عن رغبته فى العمل بالغناء والتلحين قال له والده الشيخ أحمد صقر مرزبان « بقى يا ابنى تبقى من عيلة مرزبان ٠٠ وتطلع من بتوع ياليل ياعين ؟! » ٠٠ مذكرات زكريا أحمد ٠

وهذه النظرة لم تقتصر على الشخص العادى ٠٠ بل هى ممتدة الى الحكومة أيضا ٠ ان تطوير ورعاية الفن - هذا رأى الحكومة - هو من اختصاص وزارة الاشغال ! انه كـرصف الطرق وبناء الجسور والقرع !

وعندما نشرت الصحف فى سنة ١٩٢٦ خبر ايفاد أول بعثة فنية مصرية قالت « أوفدت الحكومة المصرية فى العام أول بعثة لدراسة التمثيل مكونة من فرد واحد هو زكى أفندى طليمات الموظف بوزارة الاشغال » ٠

ووزارة الاشغال هى التى أشرفت على اقامة أول مسابقة فنية سنة ١٩٢٦ ٠ وكانت الجوائز الأولى فيها من نصيب : زكى رستم فى التمثيل التراجيدى ٠ بشارة أفندى بواكيم فى التمثيل الكوميدي ٠ السيدة فيكتوريا موسى فى التمثيل الكوميدي للسيدات ٠ و ٠٠ السيدة منيرة المهدية فى الغناء المسرحى ٠

ان منيرة المهدية هى سيدة الغناء فى مصر منذ سنوات طويلة مضت ٠ الى جانبها توجد السيدة نعيمة المصرية ٠ السيدة توحيدة ٠ السيدة فتحية أحمد ٠ الأنسة أم كلثوم !

والى جانب هؤلاء توجد من الممثلات : فيكتوريا كوهين وشقيقتها هزييت كوهين ، مارى منصور ، دوللى أنطون ، رتيبة رشدى وشقيقتها فاطمة رشدى ، دولت أبيض ، أمينة رزق ، وأبريز ستاتى ٠

ان انتشار الاسماء الاجنبية فى الوسط الفنى سببه ان الفتاة فى مصر لم تكن قد دخلت بعد باب التمثيل على نطاق واسع ٠ بل ان فرقة دار التمثيل العربى ، عندما قدمت للجمهور رواية « بنت السبندر » سنة ١٩٢٦ - فانها أسندت دور المرأة فيها الى الممثل حسن فائق ٠ ونشرت له مجلة « المسرح » صورة (براق) بصفائر الشعر الطويلة والروج الفاخ ٠

والصحف نفسها كانت تنشر بين وقت وآخر صور الممثلات اللامعات ٠٠ فى أزياء الرجال ! مرة تنشر صورة لمزينب صدقى

وفاطمة رشدى بالطربوش والبدلة ومرة تنشر صوراً لفاطمة
اليوسف وبديعة مصابنى وعزيزة أمير وأمينة محمد وفتحية أحمد
فى ملابس (الافندية والخواجات) !

و نحن فى سنة ١٩٢٦

ان المظهر الرئيسى للاهتمام بالفن هو الصحف ان الصحف
والمجلات خصصت عددا من اكبر كتابها لنقد الحركة المسرحية
والغنائية والموسيقية . محمد التابعى يكتب عن المسرح فى (الاهرام)
.. التوقيع « حندس » ابراهيم المصرى يكتب فى مجلة
« التمثيل » زكى طليمات فى « المقطم » . عبد المجيد حلمى
فى « المسرح » . سعيد عبده فى روزاليوسف .. الخ .

ولكن النقد لم يكن أمرا سهلا . ان أحد النقاد كتب كلمة خفيفة
عن تمثيل السيدة ماري منصور .. ولكن « .. السيدة لم تر رأيه » ،
فأرسلت وراءه نفرا من أصحابها ليلقوا عليه درسا فى فن الكتابة
.. وليبرهنوا له على أن العصا أقوى حجة من « القلم » !

صحفى آخر « مددته ممثلة فى مسرح كبير بالشبشب فى
الطريق العام وألقت عليه محاضرة طويلة عن أصله وأصل
آبائه وأجداده » !

ناقد ثالث كتب مقالا عن رواية « قمر الزمان » انتقد فيه بشدة
السيدة منيرة المهدية ثم « .. اضطر بعدها الى أن يحمل
شومة فى يده أينما سار ليدافع بها عن نفسه - رأيه - ضد فتوات
عماد الدين الذين أرسلتهم وراءه السيدة ليتفاهموا معه » .

ان السيدة منيرة تمثل وتغنى

والاتجاه فى الغناء كان متذبذبا فبعد نهضة قصيرة فى
المسرح الغنائى مثلها سيد درويش بدأ الغناء يبتعد عن
التواشيح ولكنه يقترب من الخلاعة ان أحد الشعراء قدم مرة
قصيدة شعرية طويلة الى كامل الخلعى لكى يلحنها فصاح فيه
الخلعى قائلا

كيف يمكن تلحين ذلك ؟ هذا شريط ترمواى وليست قصيدة !
أما الاغانى المنتشرة فكانت تختلف

مثلا الاغنية المشهورة التى ألفها يونس القاضى وغناها
عبد الطيف البنا تقول ارخى الستارة اللى فريحننا .. أحسن
جيرائك تجرحنا !

هذه الاغنية تستطيع سماعها فى مقهى القاهرة مثل : اللاوندية
واسماء الكمسارية • أو- بالاسكندرية - فى مقهى شيبان أو
مقهى الياس •

اغنية اخرى تقول : مين فيكو بابا مين فيكو ماما •• مش
عارفة نينة من غير علامة !
اغنية ثالثة فى مقهى الالدراو تقول : اوعى تكلمنى بابا جاي
ورايا ••

تغنيها عزيزة المصرية •

اغنية رابعة يطلبها « السمعية » تقول :
ماتخافش عليه أنا واحدة سجوريا

فى العشق يا انت واخدة البكالوريا
واذا سرت خطوات اخرى فى شارع عماد الدين فسوف تسمع
اغنية الموسم :

ايه اللي جرى •• فى المنذرة

شئ ما افهموش

أنا كنت لسه صغيرة !

وكان الجمهور يعبر عن اعجابه بالطرابيش • ان قذف
الطربوش هو أقوى وسائل التعبير عن الاعجاب عند جمهور ١٩٢٦ •
والطرابيش تملأ جميع مسارح القاهرة •

الطرابيش تملأ مسرح « الرينسانس » بشارع فؤاد (اقيمت
مكانه فيما بعد سينما ريفولى) •

وتملا « تياترو ماجستيك » بشارع عماد الدين ، حيث تعرض
رواية « الطمبورة » •

وتملا أيضا مسرح رمسيس، الذى يعرض رواية «حانة مكسيم»
وتياترو حديقة الازبكية حيث تعمل فرقة عكاشة •

ودار الطرب الجديدة - صالة بديعة مصابنى - بشارع عماد
الدين • اعلانات الصالة تقول ان السيدة بديعة قد « خصصت
مقاعد للسيدات بعيدا عن الرجال •• حفظا لكرامتهن » !

وتياترو برنتانيا، حيث يقدم جوق السيدة منيرة المهدي الرواية
الجديدة «البريكول» وتلحين كامل افندى الخلمى • خارج التياترو
تقول الاعلانات « تقوم بالدور المهم فى الرواية السيدة منيرة



أم كلثوم مع المود...
صورة تحتفظ بها
أم كلثوم لنفسها

المهدية سلطنة الطرب وكروانة مصر الوحيدة وبلبل وادى النيل! اعلانات أخرى تقول « الليلة تغنى السيدة منيرة المهدية • دكتوراه ممتازة فى الغناء والطرب بين العالم الشرقى جميعه » !

فى داخل المسرح تسمع منيرة المهدية و هى تغنى عندما تغنى يقف خلفها المذهبية، أو « السنيدة » الذين لا ينطقون ولا يتحركون الا بقدر وفى الوقت الذى تريده « الصبيقة » !

ومنيرة المهدية بدأت العمل فى صالة الالدرادو حيث كان الذهب يتدفق من العمدة والاعيان وقد أصبحت بعد قليل تلقب بـ « سلطنة الطرب » حتى لقد كان يجتمع فى بيتها مجلس الوزراء وإذا غضب منها أحد رؤساء الوزارات • كانت تصالحه بأغنية « تعالى يا شاطر نروح القناطر » • ويصطحب رئيس الوزراء ويذهب الى القناطر !

ان هذا المستوى من الاغاني كان قد اضطر سيد درويش - قبل سنوات من وفاته - الى ان يجاريه عندما لحن وغنى الاستيك فوق صدرك يضوى و يا أنا يا انت يا واد يا ماطاط !

وهذا المستوى من الخلاعة هو الذى اضطر سيد درويش أيضا أن يلحن منذ سنوات روايات كشكش بك التى كان نجيب الريحاني يقوم ببطولتها



أم كلثوم مع باقة زهر
.. في شرفة منزلها.

هنا بالضبط يقول توفيق الحكيم في كتابه « سجن العمر »
كان الاقبال على كشكش بك يعادل الاقبال على المكاريهات ولم
يكن سر رواجه في الحقيقة الا تلك الراقصات الجميلات
الشقراوات الاجنبيات الوافدات علينا من الخارج عقب الحرب
الاولى مثل « دينالسا » ومثيلاتها ممن قذف بهن الجوع من
بلاد منهزمة كالنمسا والمانيا .. فجئن الى مصر المفتوحة يومئذ
لكن من هب ودب فملأن المسارح والحانات وقاعات الليل
وكان الشباب من الوارثين يقبلون على تلك المحال جميعا لمصاحبة
الفتيات آخر الليل . وكان الواحد منهم يحضر الرواية الواحدة
للريحاني كل ليلة ، لا حبا في الرواية نفسها - التي سبق ان
شاهدها مرات - ولكن من أجل سيقان الفتيات

حسنًا

هذه هي السنة التي قررت فيها أم كلثوم أن تستقر بالقاهرة .
وهذا هو نوع من الجمهور الذي تشهده مسارح ومقاهي القاهرة
سنة ١٩٢٦ .

هل تختار أم كلثوم هذا النوع جمهورا لها ؟ هل تغني له
ما تخافش عليا أنا واحدة سجوريا ؟
هل تفعل أم كلثوم كذلك ؟
نعود الى مذكرات أم كلثوم





من مذكرات أم كلثوم

صفعني أبي ليرضى الجمهور!

« ليس مهما أن أكون مطربة من الدرجة
الثالثة ، المهم ألا أبقى في الدرجة الثالثة »!..
أم كلثوم

كانت القاهرة عندما بدأنا نستقر فيها سنة ١٩٢٦ كالمرخ في كل شيء فيها نكتشفه لأول مرة . كل شيء فيها مختلف عما رأيناه من قبل . البيوت مختلفة الشوارع مختلفة السهرات مختلفة الناس مختلفون والجمهور مختلف

في الريف كان صاحب الفرخ يأتي إلينا مباشرة - إلى أبى - للاتفاق على الغناء

ولكن في القاهرة لابد من وجود متعهد الحفلات ان المتعهد هو الذى يتفق مع الجمهور من ناحية ثم هو الذى يتفق مع المطرب أو المطربة من ناحية أخرى ويعد له مكان الغناء ، ويتولى الدعاية له بين الجمهور .

وفي البداية عانينا كثيرا من التعامل مع متعهدي الحفلات كان أبى طيب القلب خالص النية في تعامله وكان العمل في القاهرة يتطلب صفات مختلفة ويظهر أن منظر أبى كرجل ريفي ومنظرى كفتاة صغيرة بالعقال والبالطو يظهر أن هذا كان يغرى متعهدي الحفلات أحيانا بالضحك علينا

في البداية مثلا كان صديق أحمد متعهد الحفلات يحضر في الصباح للاتفاق مع أبى على أجر الغناء . الاتفاق يقضى بأن يدفع لى سبعة جنيهات .

وعندما نذهب إلى صالة الغناء فى المساء فان صديق أحمد كان يدخلنا إلى المسرح لنجلس خلف الستارة نستعد . ويبدأ صديق أحمد فى الشكوى لأبى قائلا يا خسارة ! مفيش جمهور ! شوف الصالة فاضية إزاي !؟

وعندما يتطلع أبى إلى الصالة من خلف الستار يجد أن الصالة خالية من الجمهور فعلا لأن صديق أحمد تعد أن يحضرنا قبل موعد الجمهور بساعة أو بساعتين !

والحل ؟!

كان الحل ينتهى دائما بنجاح المتعهد فى تخفيض الاجر المتفق عليه من قبل فى الصباح . فبدلا من سبعة جنيهات يصبح الاجر خمسة أو أربعة جنيهات !

ويرافق أبى بحسن نية بينما المتعهد يتمم بصوت مسموع ربنا يسهل بقى وما أخسرشى أكثر من كده !!

وعندما نبدأ فى الغناء بعد ساعة أو ساعتين عندما يفتح الستار ٠٠ نفاجأ بأن الصالة قد أصبحت مزدحمة بالجمهور الذى لا يجد مكانا !

ونبحث عن المتعهد فنجده فص ملح وداب !!

★ ★ ★

على أن هذه المشكلة بدأت تختفى عندما بدأ أبى شيئا فشيئا يكتسب الخبرة فى التعامل مع متعهدى الحفلات بحيث لانتخدع منهم بهذه السهولة

بدأت المشاكل مع المتعهدين تختفى، لتحل محلها مشاكل أخرى مع الجمهور نفسه !

كان الجمهور فى البداية يأتى لكى يسمع غناء انه يأتى أولا لكى يسلى نفسه . يسهر وينبسط ويفرفش ويسكر !

وإذا سمع مطربا فالغناء لابد أن يتمشى مع مقتضيات السهرة يعنى لزوم الفرفشة !

لهذا السبب فان موجة الطقاطيق الخفيفة - الخليفة غالبا - هى التى كانت رائجة فى تلك الايام !

لم يكن هذا لوننا كنت ما ازال اغنى المدائح النبوية والقصائد وأصمم على التمسك بهما .

ولكن هذا التصميم خلق لى مشاكل كثيرة فى القاهرة

اذكر اننى كنت فى احدى الليالى - سنة ١٩٢٦ اغنى فى كازينو البوسفور

ان كازينو البوسفور كان يقع فى ميدان المحطة - ميدان باب الحديد حاليا - بالقاهرة وكان رسم الدخول للسهر فى الكازينو خمسة قروش .

فى تلك الليلة بدأت أغنى - كالعادة - فى الساعة العاشرة مساء

ولم تكن هناك آلات تصاحبنى فى الغناء ، كان أفراد التخت هم أربعة ، منهم أبى وأخى خالد ، وكنت ماأزال أرتدى العقال والبالطو الأزرق وأغنى المدائح النبوية والقصائد

وبدأت فى تلك الليلة أغنى سبحان من أرسله رحمة لكل من يسمع أو يبصر

وبعد قليل بدأ أفراد الجمهور يطلبون منى أن أتوقف عن الغناء وأن أغنى لهم الاغانى السائدة فى تلك الفترة أغنى خليعة

ان الاغانى المنتشرة فى تلك الفترة كانت فى منتهى الخلاعة الى درجة أن أغنية « بعد العشا يحلى الهزار والفرقة » مثلا تعتبر أغنية غير خليعة بمقاييس تلك الايام ! وكان من المألوف أن يقوم أكثر من مطرب أو مطربة بغناء نفس الاغنية

المهم طلب منى هؤلاء الافراد من الجمهور أن أغنى شيئا آخر بدلا من قصيدة سبحان من أرسله رحمة

ورفضت

استمررت فى الغناء سبحان من

فى هذه اللحظة بدأت تملأ أصوات نفس الافراد من الجمهور لكى ترغمنى على الا أستمز ..

بعد قليل بدأوا يصفرون لمقاطعة غنائى

ومرة أخرى استمررت فى الغناء

ولكن المسألة لم تقف عند هذا الحد لقد وقف أفراد منهم وهجموا على المسرح يريدون اغلاق الستار فى هذه اللحظة فقط بدأت أفقد أعصابى ..

كانت المسألة هى ان القادم الى الكازينو فى هذا المساء يعلم مقدما من التى ستغنى ، فالاعلان المعلق فى الخارج يحمل اسمى

وهو يعلم ايضا لون الغناء الذى سيسمعه فهو اللون الذى كنت أقدمه ..



أنور وجدى .. الذى اشترك مع أم كلثوم فى
بطولة فيلم (فاطمة) فى إحدى الحلقات التى
أقامتها نقابة السينمائيين لتكريمهما

ويعلم ان الاغاني الخليفة التى يريدونها لها أماكن أخرى تغنى
فيها ..

فما معنى هذا الصغير ؟؟!

المهم اننى لاحظتها ثرت عندما هجموا على المسرح يحاولون
اغلاق الستار ..

فى الواقع اننى شتمت هؤلاء الافراد من الجمهور

ولم انتبه الا وابى يصغفنى بيده ؟؟!

كانت أول مرة اتلقى فيها مثل هذه الصفعة من أبى، أول مرة
يصغفنى فيها امام الجمهور ..

وبكيت ؟؟!

بكيت لأننى على حق وابى يعلم ذلك

ولكن أبى كان على حق أيضا .. لقد كان أوسع منى ادراكا .

ان أبى ضربنى امام هؤلاء الافراد الثائرين من الجمهور

لكى يرضيهم ! لكى يهدئ من ثورتهم ! لقد رأى الشر فى

أعينهم وهم يهجمون على المسرح متجهين تحدى

وخشى أبى أن يحدث لى مكروه خشى أن يؤذنى هؤلاء
الأفراد السكارى ، فتطوع بمعاقتى عنهم كما أنه أراد أن
يلقننى درسا فى الأدب ! فمهما كانت الظروف لا يجوز لى أن
أشتم واحداً من الجمهور لا يجوز لى أن أتفوه بلفظ ناب
واحد .. حتى ولو كان معى الحق فى ذلك ..

و
انسحبت من المسرح فى تلك الليلة أجر دموى ! ..



والواقع أن هذا النوع من الجمهور لم يكن يقتصر وجوده
على القاهرة كان هذا النوع موجودا فى كل مكان معنى
ذلك أن مقاومة تيار الأغانى الخليفة ليس سهلا ولا حتى
ممكنا دائما وربما كان جزءا كبيرا من الجهود الذى بذلته فى
البداية موجها لمقاومة اغراء الهبوط الى المستوى السائد من
الأغانى الخليفة

وفى البداية لم يكن يمر شهر .. ولا حتى أسبوع - الا تواجهنى
مشكلة بسبب عدم غنائى لهذا النوع من الأغانى

بل ان تصميمى هذا كاد يكلفنى حياتى فى احدى المرات !
كنت أغنى فى احدى القرى ..

وبالتحديد كانت قرية تقع بجوار بلدة ميت العامل فى مركز أجا
بمحافظة الدقهلية

مكان الغناء هو دوار العمدة دوار واسع الجمهور يملأ
الدوار من هذا الجمهور وجوه أعرفها من قبل فلقد كانت
المرات العديدة التى غنيت فيها من قبل قد بدأت تشجع هذا
اللون من الغناء الذى كنت أقدمه ولكن الى جانب جمهورنا هذا
كان يوجد النوع الآخر من الجمهور النوع المألوف الذى جاء
يشرب الخمر ويستمتع الى أغانى « بعد العشا يحلى الهزار
والفرشة » ! كان هذا الجمهور يمثل أقلية بسيطة جدا فى الريف
.. ولكنه كان موجودا على أى حال

فى تلك الليلة بدأت أغنى قصيدة سبحان من أرسله رحمة
لكل من يسمع أو يبصر «

دقيقة وأخرى وأخرى

ثم وقف واحد من الجمهور يصيح ايه النغم ده عايزين
نفرش ..!

واستمرت فى الغناء !!

ولكن نفس الشخص عاد ليقف من جديد : عايزين نفرفش
عايزين شوية مياعة .. شوية مواويل .. غنى لنا ياليل يا عين !

ولم التفت اليه مازلت مستمرة فى الغناء
ولكنه استمر فى مقاطعته لى

وعندما حاول عدد آخر من الجمهور أن يسكتوه تكهروا الموقف !
لقد وقف الرجل المخمور وسط الدوار وأخرج من جيبه مسدسا
ولوح به فى الهواء مهددا !!

قال الرجل مهددا الجمهور بالمسدس ! اللى مش عاجبه
يطع بره !!

وفى لحظات كان الصمت يخيم على المكان كله صمت له رنين !
ونظرت الى الدوار الواسع فوجدته قد أصبح خاويا لا أحد
على الكراسى ! الجمهور الذى كان يتزاحم منذ لحظة ذاب !

ويبدو أن هذا الرجل كان صاحب سطوة فى القرية دون أن
ندرى لقد اكتشفنا فيما بعد أنه ابن العمدة ! واحد من أصحاب
النفوذ فى أى قرية !!

المهم - صم ابن العمدة بمسدسه على أن أغنى له ما يريد
وصممت على ألا أغنى سوى ما أريد ..

وتوزعت نظرات أبى بين وجه ابن العمدة وبين مسدسه
وبينى !

قال له أبى مغلش يا ابنى هدى نفسك !!

ورد ابن العمدة لازم تغنى ياليل يا عين لازم تعمل لنا شوية
انبساط وفرفشة !!

فقال له أبى فرفشة ايه يا ابنى بس وانت شايل لنا المسدس !
- هو كده !!

قال أبى حاضر يا ابنى حتغنى حتغنى كل اللى انت
عايزه ، بس هدى نفسك .. غنى له يا بنى أمرنا الله !
وصممت على ألا أغنى !!

لم يكن تصميمي عن شجاعة فالسدس على بعد متر مني
ولكن تصميمي كان عن عناد .. وعن ايمان
وبدا السادس يتلملح في يد الرجل وهو يقول بكلمات تلاعبت
بها الخمر : يعنى مابتغنيش ؟!

ورد أبى بسرعة حتغنى يا ابنى اصبر عليها بس
صبرك بالله ..!

و
أنقذتنا عناية الله

ففى تلك اللحظة دخل الى الدوار واحد نعرفه صاحب عزبة
مجاورة للقرية جاء فى هذه الليلة ليسمعنى بالصدفة .. عندما
علم فى طريق عودته أننى أغنى هذه الليلة فى تلك القرية
ولم يحس ابن العمدة المخمور بالرجل الا بعد أن خطف منه
السدس وأوسع ضربا ..!



وأعود الى القاهرة

ان الجمهور الخمور كان اقلية فى الريف ولكنه كان اغلبيه
يحسب لها ألف حساب فى القاهرة . والمسألة كالحلقة المفرغة
لا قدرى من أين بدأت ، هل العيب فى مستوى الاغنى أم فى
انتشار نوع معين من الجمهور ..

وعلى أى حال فلقد كان الدرس الذى خرجت به مبكرا هو ألا
أياس هو أن أصمم على نشر اللون الذى كنت أغنيه ، ولم يكن
يدفعنى هذا الى التعصب لما أغنيه وانما تطوير ما أغنيه بحيث
يكون مقبولا وبشرط ألا أضحى بالمستوى الذى أومن به فى
الغناء

شيئا فشيئا بدأ حظى يتحول

فى الواقع أن رصيدى السابق من الشقاء والتعب فى الريف بدأ
يصبح ميزة كبرى أنفرد بها فحتى تلك الفترة لم أكن قد أصبحت
معروفة بشكل حاسم فى مدينة القاهرة كان رصيدى كله فى
الريف لقد غنيت فى مئات من القرى والكفور والنجوع والمدن

الصغيرة ، بحيث أصبح الجمهور الذى يعرفنى جمهورا آخر غير
الذى تعرفه ليالى القاهرة



ان هذه الظاهرة سببت الحيرة لشركات تسجيل الاسطوانات
ان اول اسطوانة سجلتها كانت اغنية « مالى فتنت بلحظك
الفتاك » اغنية لحنها لى احمد صبرى النجريدى وسجلتها
فى شركة اسطوانات « صوت سيده » بالقاهرة . ان الشركة سجلت
لى هذه الاسطوانة وهى تقدر مقدما أنها صفقة خاسرة لهذا
لم اتقاض من الشركة أكثر من ثمانية جنيهات هى كل
مستحقاى عن حقوق تسجيل الاسطوانة

ثم فوجئت الشركة بأنها حققت فى الاسطوانة ارباحا ضخمة
مع أن ثمن الاسطوانة كان عشرة قروش !

كيف حدث ذلك ؟ اننى لم اكن معروفة بعد لجمهور القاهرة
فمن هو الجمهور الذى اشترى تلك الاسطوانة ؟

كانت المسألة ببساطة هى اننى اتميز عن مطربات القاهرة
بالجمهور الذى يعرفنى فى الريف وعندما يأتى واحد من هذا
الجمهور الى القاهرة فمن الطبيعى أنه سيشترى اسطوانة للمطربة
التي سمعها وراها . وأنه لم تكن هناك اذاعة بعد ولم تكن
مطربات القاهرة المشهورات فى ذلك الوقت يذهبن الى الريف
لم يكن الاعجاب بصوتى اذن هو سبب رواج الاسطوانة ، ولكنه كان
مجرد حب الاستطلاع .



وشينا فشيئا بدأ رصيدى يزداد من جمهور القاهرة وبدأت
شركات الاسطوانات تضاعف أجرى عن كل اسطوانة ولكن
المسألة لم تكن أبدا بمثل السهولة التى اكتب بها الآن . كانت هناك
مناقسة ، وهى مناقسة حادة غالبا . ولم اكن أعرف بعد أحدا
من كتاب صحف القاهرة ومع ذلك فان موقف الصحف والمجلات
فى هذه المناقسة كان يختلف .

أذكر أنه فى مايو سنة ١٩٢٦ نشرت إحدى المجلات تعليقا يقول
« للسيدة منيرة المهدي انصار وللآنسة ام كلثوم انصار . وكل



فيلم (سلامة) من افلام
أم كلثوم الاولى .

من الطرفين يدعى أن صاحبتة هي ذات الصوت الاجمل ولكن ،
من هو الحكم الذى يحكم بالأولوية لهذه أو تلك ؟ هو الجمهور
ولا شك والآن اسمع تدفع شركة بيضافون للسيدة منيرة
المهدية اربعين جنيها مقابل كل أسطوانة تملأها السيدة ٠٠ وتدفع
شركة أسطوانات « صوت سيده » للآنسة أم كلثوم خمسين جنيها
مقابل كل أسطوانة تملأها الآنسة ٠٠! ومعنى هذا أن اقبال
الجمهور على شراء أسطوانات أم كلثوم اشد من اقباله على شراء
أسطوانات السيدة منيرة ولهذا نجد أسطوانات الآنسة اغلى
ثمنا من أسطوانات السيدة ،

انتهت كلمات المجلة انها بلا شك تعطى صورة عن تلك الفترة
من سنة ١٩٢٦



فيلم (وداد) .. من الفلام
أم كنتم ايضاً ..

ولكن

لم يمض اسبوع واحد اخر الا وحدث تصرف غريب من
نفس المجلة !

★ ★ ★

ان المنافسة الغنائية فى سنة ١٩٢٦ كانت قد تبلورت بحيث
تركزت فى النهاية بين منيرة المهدية وفتحية احمد وبينى

وقد ارادت المجلة المذكورة - هكذا قالت - ان تصل الى رأى
قاطع فى هذه المنافسة قالت المجلة « ثارت فى الايام الاخيرة
ضجة حول الغناء والمطربات أيهن أجمل صوتا وأيهن أعمق
فنا وأعذب نفمة وأسمى روحا وأدق تصويرا الخ فكتب

كاتب فى (البلاغ) فى هذا الموضوع وقام ثان فى (الاهرام)
وثالث فى «السياسة» ٠٠ وكان مدار كل هذه المقالات هو السيدة
فتحية أحمد والمقارنة بينها وبين الأنسة أم كلثوم والخروج من هذه
المقارنة بتفضيل الاولى على الثانية وتعرض البعض للسيدة
منيرة المهدية ولم يحترم درجة الامتياز التى نالتها فى مباراة الغناء
المسرحى (أجرتها وزارة الاشغال) فقام ووضعها هى أيضا على
المشرحة أما سوى هؤلاء مثل السيدات نعيمة المصرية وتوحيدة
وفاطمة سرى وفاطمة قدرى فلم يعرض لهن أحد بكلمة ولهذا
راينا أن نقوم باستفتاء حضرات القراء ، وأن نقصر الاستفتاء على
هؤلاء المطربات الثلاث اللاتى يدور حولهن الأخذ والرد وهن
الآنسة أم كلثوم والسيدتان فتحية أحمد ومنيرة المهدية

« وموضوع الاستفتاء هو

« أولا من هى الاجمل صوتا بين هؤلاء المطربات الثلاث

« ثانيا من هى التى يؤثر فيك صوتها أكثر من سواها ؟
و (يؤثر فيك) معناها هنا (يشجيك)

« ثالثا من هى الأكثر الماما بفن الغناء

« رابعا اذا فرضنا أن هؤلاء المطربات الثلاث كن يغنين فى ليلة
واحدة فى أماكن مختلفة فأيهن تفضل أن تذهب لسماعها »

هذا ما نشرته المجلة MisrFone

وفى الاسبوع التالى مباشرة قامت بنشر النتيجة

كانت النتيجة - كما نشرتها المجلة - هى أن ترتيب المطربات هو

اولا فتحية أحمد

ثانيا منيرة المهدية

ثالثا أم كلثوم !

ومهما كانت الدوافع وقتها وراء اخراج النتيجة بهذا الشكل
الا أئننى فى الواقع صدمت من سيطرة الصداقات الشخصية على
الصحفيين المتصلين بالوسط الفنى

لم أكن اختلط بأحد الكتاب أو الصحفيين لم أكن أهتم الا
بتطوير صوتى وغنائى مازال هذا رأى الى اليوم برغم
الصعوبات التى خلقها هذا الاسلوب أمامى

ولكن المهم اننى اعتبرت ان النتيجة التى نشرتها المجلة صحيحة .
فلتعتبرنى المجلة مطربة من الدرجة الثالثة لا يهم ولكن المهم
هو ألا ابقى فى الدرجة الثالثة !

ان مثل هذه الاشياء كان من الممكن ان تكون بالنسبة لى حافزا
على اليأس بحيث ان اعود الى الريف من جديد

وكان من الممكن ان تكون حافزا لى على بذل مزيد من الجهد
بحيث ابقى وأستمر وأعمل

وهذا ما حدث

أصبحت أعتبر ان المشاكل ليست صعوبات وانما هى تحديات
المشاكل ليست أعذارا عن الكسل وانما هى مبررات للعمل
وفعلا

لم يمض وقت طويل قبل ان أقرأ أول مقال أمين عنى كتبه صاحبه
قبل ان يرانى

لقد نشر المقال وقتها فى جريدة (السياسة) وكان كاتبه
الشيخ مصطفى عبد الرزاق

هذا هو أول مقال صحفى أعتر به فى حياتى الفنية ومازلت
حتى اليوم أشعر نحوه بوفاء بالغ

ولم تمض فترة أخرى حتى كنت قد بدأت فعلا التقي بحظى
لقد بدأ حظى يتحول مع أغنية « ان كنت أسامح وانسى الأسية »

هذه الاغنية اشترى الجمهور منها نصف مليون أسطوانة !

ولكن سعادتى بدأت تتضاعف بعد ذلك بعدة سنوات عندما كنت
بالاسكندرية جالسة فى كازينو بالشاطبي أمام الكازينو كباريه .

فى هذا المساء لم أصدق اذنى ! لقد سمعت مطربة تغنى فى
الكباريه قصيدة أبا الزهراء !

ليلتها لم أتم حتى الصباح !

لم أتم من فرط سعادتى لقد أصبح الجمهور مقتنعا بسماع
أبا الزهراء قد جاوزت قدرى ، حتى فى كباريه ! تطور
لا يمكن تقديره فى رأى باى مبلغ من المال !!





منه منكرات أم كلثوم

أُمِّي وَابْنِي .. دَاخِلِيخْ ابْنُو الْعِلَا!

و اضطرت الى الغناء أربع ساعات ..
دون أن يسمعني أحد غير مانتى
كرسى كراسى لا يجلس عليها فرد
واحد .. كراسى سمعتنى فى صمت بليغ !
(أم كلثوم)

كانت أمى سيدة بسيطة جدا !
لم تكن تعرف القراءة أو الكتابة لم تكن متعلمة
ولكنها كانت مثالا للسيدة التى تعرف كيف تقوم بواجبها نحو
زوجها ونحو أولادها

لهذا لم يتزوج أبى غيرها !
ولم تكن هذه عادة مألوفة فى الريف ، ولا حتى فى أسرتى نفسها
كان لى ثلاثة أعمام تزوج كل منهم مرتين أو ثلاثا
ولكن أبى كان يقدر فى أمى حكمتها وبساطتها وتفانيها فى تربيتهنا
لقد تعلمت منها التواضع
وتعلمت منها الصدق
وتعلمت منها الايمان بالله
كنا نستيقظ فى الفجر على صوتها - مع أبى - وهى تؤدى
الصلاة

ولم نرها فى مرة تختلف مع أبى بصوت مسموع
ولم نسمعها تناديه بغير « يا شيخ ابراهيم »
وكانت أمى تساعد أبى بكل ما تستطيع بل ان أبى عجز مرة
عن أن يجد نقودا تكفى لشراء « كيله ذرة » مشكلة ولكن
أمى نهضت لتجمع كل مصاغها وتعطيه لأبى حتى يشتري لنا الذرة
فنجدها ما نأكله ٠٠ و - يادوب كان ثمن المصاغ يكفى لشراء
كيله الذرة !

لم تكن أمى تهتم بالنقود حتى عندما بدأنا نستقر فى القاهرة
وندخر جزءا من دخلى كانت تقول أن النقود تفسد !

وفى كل مرة كنت أسافر فيها مع أبى للغناء كانت تكرر له نفس
الحاضرة والنبي ياشيخ إبراهيم تأخذ بأك من البنت
أوعى حد يقول لك هاتها نسسم عبيها فى البيت وتوافق أوعى
تسيبها لوحدها خلى عينك عليها أولاد الحرام كثير !
وعندما بدأنا نستقر فى القاهرة لم تكن تنام الا بعد عودتى من
الغناء فى الفجر



وأمى كانت بسيطة فى فهمها لوسائل التربية ، كنا صغارا أشقياء
- أنا وأختى وأخى - بحيث لا يمر يوم دون أن نلعب بأدوات المنزل
فنكسر بعضها أحيانا

ولكن أمى كانت تقول لنا اللى يكسر حاجة وييجى يقول
لى ياخذ السبعة » !

ان « السبعة » هى سبع كراملات !
وكانت تقول لنا اللى يسرق حاجة ربنا يسط وشه
يخليه وش حمار » !



ولكنى فى مرة حاولت أن أسرق أمى !
لم تكن هى فى المنزل منزلنا المتواضع بقرية «طماى الزهايرة»
فى مركز السنبلالوين ثم مر فى القرية رجل يبيع غزل البنات ..
وتسابق أطفال القرية الى الرجل لشراء غزل البنات
وزاغت عيني أريد غزل البنات !
ودخلت الى المنزل ومددت يدي الى جيب أحد أثواب أمى
فوجدت فيه نصف فرنك ..

أخذت نصف الفرنك وخرجت أجرى الى بائع غزل البنات
ثم توقفت عن الجرى فجأة
تحسست وجهى تذكرت أن الله سيحول وجهى الى وجه
حمار كما كانت أمى تقول لنا !

وعدت الى المنزل ثم أعدت النصف فرنك الى مكانه . وخرجت
من جديد أتفرج على الاطفال وهم يشترون غزل البنات

ولكن منظر غزل البنات أغرائى من جديد باعادة المحاولة
عدت الى المنزل لأجد أمى قد عادت من الخارج

فى هذه اللحظة لم أتنبه الا وأنا أعترف لها بكل ما فعلت
استمعت أمى الى اعترافى بارتياح كبير وهى تقول الحمد لله .
قالت كما لو كانت قد أنقذت وجهى فعلا من التحول الى وجه
حمار !

ثم أعطتنى هى النصف فرنك لاشترى منه غزل البنات



وكانت أمى تحب شهر رمضان جدا وطوال الشهر لم تكن
نسمع سوى آيات القرآن والاحاديث النبوية

وعندما أصبح لنا منزلنا الخاص فى القاهرة كانت ترفض أن
تقوم « الشغالات » بخدمتنا ونحن على مائدة الافطار . كانت تصر
على أن نجلس جميعا - جميع من فى المنزل - لتناول الافطار معا .
وكانت تربي اولاد أختى بنفس الطريقة .

لم تكن توافق على خروجهم لاستذكار دروسهم بعيدا عن البيت .
وطوال مذاكرتهم كانت تصر على أن تظل ساهرة لخدمتهم

وكانت ترفض أن تغتاب أحدا أو تتكلم عن أحد بسوء
فى الواقع أنها سيدة عظيمة

فيفضلها هى تحولت طفولتنا من أيام شقية الى أيام سعيدة
من أيام فقيرة الى أيام غنية .

ان طفولتى لم تختلف عن طفولة الكثيرين من أبناء بلدى . ان
الطفولة قد تقترن فى أذهان الكثيرين باللعب بالحنان بالمرح
بالعروسة الحلوة بالجنيه العيدية

ولكنى عندما أتذكر طفولتى تقفز الى ذهنى أشياء كثيرة البرد
المطر، الفقر ، الطرحة السوداء الشاي الثقيل ، الجبن القريش ،
الثروة التى كانت قرشا ، العظام التى كانت لحما الركوبة التى
كانت حمارا الحنان الذى كان أبى الرحمة التى كانت أمى .

أتذكر أبى - رحمه الله - حينما كان يواجه مشكلته الوحيدة كل شهر - كيف يوفق بين مرتبه الشهرى - الذى كان مجرد عشرين قرشا كما قلت من قبل - وبين أعباء أسرة كاملة أصفرها أخى خالد وأنا - وعندما أدخلنى أبى الكتاب كانت المشكلة هى من أين يأتى بالقرش الصاغ الذى كان يجب أن يدفعه كل أسبوع لفقى الكتاب

أتذكر هذا كله عندما أتذكر طفولتى أتذكر أياما فقيرة بسعادة، شقية بقصر

فمع تقدم سنوات طفولتى تركزت حياتى فى ثلاثة أشياء
لقد كانت الاسئلة الثلاثة التى تشغلنى فى كل لحظة من تلك الايام هى

أولا - هل أجد طعاما ؟

ثانيا - هل أجد مأوى ؟

ثالثا - هل أغنى ؟

فى تلك الايام كان كل شيء فى حياتى يدور حول تلك الاسئلة الثلاثة حياتى نفسها كانت حصيلة لتلك الاسئلة الثلاثة عندما كنت أعمل أكل أنام أقرأ ، أسير أركب أشتري أسافر أسمع ، أتعلم .. فان هذا كله كان يتم بهدف واحد أن أغنى بطريقة أفضل . أن أفهم فى وقت أقل أن أنقل عواطفى لستمعى بشكل أرق ..

كانت هذه هى حياتى منذ اليوم الذى بدأت أتعلم فيه الغناء وعمري خمس سنوات الى اليوم الذى بدأت فيه التقى بأعجاب الجمهور

على أئنى وراء كل نجاح حقيقته ، كنت أتذكر دائما شخصا واحدا هو صاحب الفضل فيه .

هذا الشخص هو أبى !

كان أبى رجلا فقير الثقافة .. معدم الثروة ولكنه أعطانى أكبر ثروة . أعطانى حنانه أعطانى اهتمامه أعطانى إصراره على أن أنجح .. وأن أتعب قبل أن أنجح .

ان أبى علمنى درساهاما علمنى أن النجاح - وليس ثمن النجاح - هو المهم



آخر صورة للفنان
عبد السلام النابلسي
التقطت له في حفل
لتكريم أم كلثوم

ولقد تعلمت من أبي أشياء كثيرة غير مجرد الغناء !

كان أبي يتمسك دائماً بأن يؤدي واجبه في الواقع أن ضميره كان في حالة صحوة مستمرة وبسبب يقظة ضميره هذه اضطررت مرة الى الغناء في حفل عام بلا جمهور ! اضطررت الى الغناء أربع ساعات دون أن يسمعي أحد غير مائتي كرسي كراسي لا يجلس عليها فرد واحد كراسي ظلت تسمعني لمدة أربع ساعات في صمت بليغ !

حدث هذا في سنواتي الغنائية المبكرة في الريف

لقد اتفق صاحب الفرح مع أبي على أن أذهب الى الغناء في قريته بمركز السنبلالوين . وأعطى لأبي أجرى عن الغناء خمسين قرشا

وفي الليلة المحددة ركبت الحمار سبع ساعات قبل أن أصل الى القرية

وعندما دخلنا القرية وجدنا السراديق معدا والكلوبات مضاءة ولكن بلا جمهور !

لم يكن هناك شخص واحد ولا - حتى - صاحب الفرح
لقد تصادف أن الجو في تلك الليلة كان في منتهى البرد ليلة
من ليالى شهر أُمشير ٠٠! وفضل الناس ألا يغادروا بيوتهم
« حيسموا مين يعنى ؟! صاحب عبد الحى ٠٠ والا عبد اللطيف
البنّا » ؟ !

وذهب أبى الى صاحب الفرح ليعيد اليه الخمسين قرشا
ولكن صاحب الفرح رفض قال لأبى ياسيدى كأنها
زكاة ، ! قالها وانصرف !

وأسقط فى يدى

ماذا أفعل ؟!

وكان رد أبى لازم تغنى !

- أغنى لين ؟!

- مش مهم لازم نخلص ضميرنا !

- صح ولكن مقيش ناس مقيش ولا حتى واحد
أغنى له ٠٠

- برضه مش مهم لازم تغنى ونؤدى راجبنا !
Misrrone
وقعلا ٠٠!

وقفت أغنى فى هذا الحفل دون أن يسمعنى أحد !

ولكنها كانت ليلة ممتعة ! انها الليلة الوحيدة التى غنيت فيها
بالريف ٠٠ دون أن تقاطع الخناقات غناءنا !

فبدلا من أن يكون محصول الليلة ثلاث ساعات خناق ونصف
ساعة غناء - كما كانت العادة - أصبحت الليلة غناء فقط
ولكن بلا جمهور !!

★ ★ ★

وكان أبى بسيطا فى حرصه على اعطائى مظهر المطربة الكبيرة
٠٠ وانا غير مشهورة بعد !

فبعد سنوات من مطلع حياتى الغنائية استطعنا أن نستبدل
بركوب الحمير ركوب القطارات ٠٠ فى سفرنا للفناء بالقرى والمدن
الصغيرة

ولكننا كنا مازال نركب بالدرجة الثالثة فى القطار
وقبل أن يصل القطار الى البلدة التى سنغنى فيها بدقائق ، كان
أبى يصير على أن نغادر مكاننا فى الدرجة الثالثة ٠٠ وننزل الى
الحطة من باب الدرجة الاولى حتى لا يرانا اصحاب الفرع
خارجين من باب الدرجة الثالثة فيتصوروا أننا مطربة صغيرة !



وعندما جئنا الى القاهرة اول مرة أصر على أن نسكن فى فندق
جوردون هاوس بشارع قواد فندق غال ويصر على أن يأتى
لنا الطعام جاهزا من محل «سان جيمس» الذى كان من أغلى
محلات القاهرة

فى الواقع ان أبى كانت تدفعه فكرة رئيسية وهى الحرص
على اعطائى كل مظاهر النجاح وكان فى سبيل ذلك ينفق كل
دخلنا

فعندما كنا نساغر الى الاسكندرية للفناء - بعد سنوات طويلة
من عملى - كان أكبر مبلغ اتقاضاه فى ذلك الوقت هو خمسة
عشر جنيها

وفى اليوم السابق على السفر كان أبى يأخذنى الى محلات
« هانو » بالاسكندرية لكى أشتري فساتين جديدة بكل الخمسة
عشر جنيها ثم يدفع بعد ذلك أجر السفر الى الاسكندرية من
جيبه !

وعندما انتقلنا من السكن فى شارع قوله بحى عابدين فى
القاهرة أصر على أن نسكن فى شقة فاخرة بعمارة بهلر فى
حى الزمالك شقة تضم سبع حجرات وثلاثة حمامات ، ثم
طبّاخا لاعداد الطعام شقة غالية ايجارها خمسة وعشرون
جنيها وهو مبلغ مرتفع جدا فى ذلك الوقت ، ويمثل عبئا ماليا
باهظا بالنسبة لنا



وكان والدى واسع الافق بعيد النظر رغم تعليمه المحدود الذى
اقتصر على تعلم القرآن وترثيله وبعض التدريبات التى كان

بفطرتة يصّر على أن أقوم بها تبينت فيما بعد أنها تطبق في
مدارس الكونسرفاتوار الحديثة

فمثلا

كان أبى يصّر على أن أتناول أطعمة معينة ومشروبات معينة
منها مثلا مشروب عبارة عن خليط من البيض النىء وسكر
النبات واللبن الساخن

وكان يصّر على أن أنام مبكرا وأستيقظ مبكرا فى الايام
التي لا يكون عندى فيها غناء

وكان يصّر على أن أمارس يوميا بعض الالعاب الرياضية
اللازمة لتوسيع الصدر وإطالة الانفاس • لقد احضر لى مثلا
« صاندو » بسلك واحد فى السنة الاولى ثم سلكين فى السنة
الثانية ثم ثلاثة وهكذا

ولذلك فان كفى الآن اعرض من المقاس العادى لجسمى

وكان أبى لا يالو جهدا فى تعليمى

فبمجرد أن بدأنا نستقر فى القاهرة ، وبدأنا نقيم فى شارع قوله
بحى عابدين احضر لى أبى الاستاذ محمود رحى لى يعلمنى
العزف على العود • كان رحى من أحسن المتخصصين فى
العزف على العود • وكان أبى يطلب منه أيضا أن يدربنى على
غناء أكبر عدد ممكن من القواشيع • لا لى أغنيها بل لى
تكون أرشيفا غنائيا احتفظ به فى عقلى

وكان محمود رحى يظل يدربنى طوال النهار فى حضور أبى •
وكان أبى يدفع له ثلاثة جنيهات كل شهر وهو مبلغ مرتفع
بمقاييس تلك الايام

وكنت حتى تلك الفترة ما ازال أغنى وأنا ارتدى العقال !

وكان أبى هو صاحب فكرة ارتدائى العقال عندما بدأت أغنى
فى الريف •

كان يرى أولا أن العقال زى جاد يناسب ما كنت أغنيه من
القصائد والمدائح النبوية

ويرى ثانيا أن منظر فتاة تغنى ليس منظرا مألوفا فى الريف
فالعقال والبالطو الاصفر هما حل وسط فى رأيه



ام كلثوم مع احمد
سلام في فيلم «وداد»



ولكن هذه الاسباب لم تعد ضرورية عندما بدأت أستقر في القاهرة لأن منظر فتاة تغنى كان شيئا مألوقا في القاهرة .

وأبى كان اول من تحمس عندما فكرت فى التخلّى عن الغناء مع التخت القديم واستبداله بالغناء على الآلات الموسيقية . فحتى سنة ١٩٢٦ ، لم تكن هناك موسيقى تصاحبنى فى الغناء . كان ينف معى على المسرح أربعة فقط فى زى المشايخ منهم أبى راخى خالد .

وكانت هذه الطريقة لها معجبوها الذين يتزايدون كل يوم

ولكنى كنت أريد أن أتطور

والأهم من ذلك أتنى أريد أن أتطور بارادتى قبل أن أكون مرغمة على التطور

وقلت لأبى اتنى أفكر فى الغناء على الآلات الموسيقية

وتحمس أبى ولكنه أصر على نقطة هامة قال انه لا يريد ان تكون المسألة تطورا والسلام وانما يجب ان يكون هذا التطور قويا لا يريد ان يصاحبنى « تخت » موسيقى والسلام وانما الا يكون هذا التخت مماثلا لتخت العوالم !

وفعلا دفع أبى اكبر ما يمكنه لكى يحقق فكرته

لقد بدأت اغنى بمصاحبة اوركسترا لأول مرة فى مساء خميس ٧ اكتوبر سنة ١٩٢٦ وكانت أول اوركسترا موسيقية اتفق معها أبى تضم الاساتذة محمد العقاد وهو من امهر عازفى القانون وقتها ، والاستاذ سامى الشوا على الكمان والاستاذ محمد القصبجى على العود

وفى أول ليلة غنيت فيها مع الاوركسترا نجحت التجربة نجاحا هائلا ، ودفع لى صديق افندى متعهد الليالى خمسين جنيها عن الليلة الاولى فقط ثم وقع معى عقدا بدفع خمسة وثلاثين جنيها عن الليلة بعد ذلك .

وكان أبى يدفع الكثير لتنفيذ اصراره على الاستعانة بأحسن الموسيقيين .

كان يدفع لـ محمد العقاد ثلاثة جنيهاً ونصف جنيهاً عن الليلة الواحدة . ولسامى الشوا جنيهاً ونصف جنيهاً ولـ محمد القصبجى جنيهاً فى الواقع ان الصحف اجمعت وقتها على تسمية هؤلاء الثلاثة بـ « اساطين الموسيقى الشرقية » .

فى الواقع ان هذه - وغيرها كثير - كانت تؤكد حقيقة كبيرة كنت المسها من أبى وهى اصراره الدائم على ان أنجح دائماً مهما تحملنا من تكاليف اصراره على التطور لا يكفى ان يكون مجرد تطور بل من الضرورى ان يكون تطورا الى الاحسن والا فلا داعى له !

★ ★ ★

ولكنى مع هذا كنت أختلف مع أبى فى بعض الاحيان !

لقد عارضت أبى مرة واحدة عارضته بشدة ولكنها كانت المرة الوحيدة التى صفعنى فيها صفعة ساخنة !!

ذهبنا الى البنك العقارى



في راس البر
صورة لام كلثوم عنه
الشاعر الذي اعتاد
ان تستج فيه .

كان البنك يبيع أرضاً بالمزاد العلني وفاء لدين متعلق بهذه
الأرض مساحة الأرض تزيد على مائتي فدان .

وفي المزاد قام محام من المنصورة بشراء مائة وثمانية أفدنة
من الأرض المعروضة للبيع

واراد أبى أن يشتري خمسين فدانا من هذا المحامي

ولكن الأرض كانت محملة بديون كثيرة وهي ديون تعطى
الدائن حق تتبع الأرض في يد أى مالك لها

لهذا رجوت أبى ألا يشتري الخمسين فدانا إلا بعد أن يصدد
المحامي كل الديون المتعلقة بها لأن الأرض هي التي تضمن
الوفاء بديونها ..

ولم يتمسك أبى بالشروط الذي طلبته منه

ولكننى صممت على كتابة هذا الشرط في العقد

كانت حجتى بسيطة

ان أبى شرب نفس القلب مرتين من قبل

فى مرة اشترى ارضا باسمى دون أن يشترط وفاء المالك
الاصلى بالديون المتعلقة بالارض . لقد اكتفى بكلمة شرف من
المالك .

ان المالك وعد أبى بأنه سيدفع الديون خلال عدة أشهر . واعتبر
أبى أن هذه الكلمة كافية . ثم طلب منى توقيع العقد ، ف وقعت .
وقبل أن تمر شهور قليلة ، فوجئنا بالحجز على الارض وفاء
لليون التى لم يسدها المالك الاول وخسرنا الارض . . والمال
الذى دفعناه ثمننا للارض

★ ★ ★

وتكررت هذه الحكاية مرة ثانية !

لذلك ، فعندما اراد أبى - للمرة الثالثة - أن يشتري ارضا ،
صممت فى هذه المرة على أننى لن أوقع العقد الا اذا نص على
مسئولية المالك الاصلى فى الوفاء بالديون

ان الارض التى ضاعت منا مرتين من قبل كانت أقل من عشرة
فدادين . .

ولكن الارض التى نشتريها هذه المرة هى خمسون فدانا
والأهم من ذلك اننى اشفقت من أن يضيع ما ادخرناه فى عشر
سنوات مرة أخرى فى غمضة عين .

ان الثمن الذى كنا سندفعه فى المرة الثالثة هذه ، كان حصيلة
عملى وعمل أبى طوال عشر سنوات كاملة حتى سنة ١٩٣٥ . .
حصيلة كفاح شاق وطويل استمر طوال السنوات المبكرة من عملى
الفنى سنوات أعجز بها . وبعد هذا المبلغ كان على أن انتظر
عشر سنوات أخرى على الأقل حتى أدخر مبلغا آخر من جديد .

المهم

استمرت المناقشة تجرى بين أبى وبينى فى البنك العقارى
وفى حضور عدد من الناس من بينهم مالك الارض الذى يعمل
محاميا فى المنصورة

ولكن واحدا من الحاضرين مع المالك اثار اعصاب أبى على
بدرجة كبيرة

ولم اقبله الا وهو يصفعنى بقسوة

ولم ابك هذه المرة لقد تغلب عنادى على عواطفى

وقلت لأبى اما الآن اما بعد هذه الصفعة فاننى لن
أوقع العقد أبدا الا اذا نص على هذا الشرط ! الآن .. لن
أقبل كلمة شرف من المالك لن أقبل سوى شرط مكتوب
وفعلا ! ..

اضطر المالك فى النهاية الى توقيع العقد متضمنا الشرط الذى
أصررت عليه

و لم يفاتحنى أبى فى هذا الموضوع الا بعدها بسنة كاملة

قال لى لقد كان معك الحق يوم اختلفت معى بشأن الارض .
لقد ذهبت اليوم الى بنك مصر فأخبرنى بأنه كان سيحجز على
الارض وفاء لديونها القديمة .. مما اضطر المالك السابق الى
أن يقوم بتسديد ديونه .. وأصبحت الارض ملكا لنا من تاريخ
الوفاء بالديون (*) .



ان أمى وأبى هما صاحبا الفضل الاول على فى حياتى

أما الثالث فهو الشيخ أبو العلا

لقد تحدثت عن الشيخ أبو العلا من قبل

ويكفينى أن أقول انه جعلنى لأول مرة أفهم معنى ما اغنيه

عندما أقيمت فى القاهرة لأول مرة كنت أسكن - مع والدى
وأخى خالد - فى فندق جوردون هاوس كان للفندق شرفة تطل
على شارع فؤاد

وكان الشيخ أبو العلا يظل يغنى لى فى المشرفة ويدربنى
على الغناء ، طوال الليل . لم يكن يتوقف الا فى الصباح ..
عندما يبدأ الترام فى السير !

(*) تبرعت أم كلثوم بكل أراضيها لافراد اسرتها

والحقيقة أن الشيخ أبو العلا لم يحصل على ما يستحقه من الشهرة .

كان التيار السائد وقتها هو تيار الاغاني الخليعة ولم يكن هذا لونه . كان أبو العلا يصر على غناء الشعر العربي الاصيل وأحيانا كان الجمهور يعامله بقسوة !

لقد أنزله الجمهور مرة من على المسرح فى كازينو البوسفور، لكى يستمع الى عبد اللطيف البنا بدلا منه !

ولكن الشيخ أبو العلا كان يتحمل هذه المصاعب ويضحك منها

وحتى عندما بدأ المرض يتردد عليه لم تخفف الابتسامه من وجهه .

لم تخفف ابتسامته حتى عندما عرف حقيقة مرضه

ولم تخفف ابتسامته حتى عندما أصيب بالشلل

ولكن الموت كان اكبر منه . لقد هزمه فى النهاية وسحب منه تلك الابتسامه التى إنساها

مات الشيخ أبو العلا فى مساء الاربعاء ٥ يناير سنة ١٩٢٧

لقد كان الشيخ أبو العلا والدا ثانيا لى ولن يقل وفائى وامتنانى له عن وفائى لأمى سوف أبكى وأبى ..

★ ★ ★

عند هذا الحد انتهت مذكرات ام كلثوم من الفصل التالى
تبدا مذكرات اخرى . مذكرات « عن » ام كلثوم وليست منها ،
مذكرات منى عنها





عندما تفتح أم كلثوم
أم كلثوم التي يعرفها الناس

» التي كانت الارض نياها
والسمااء حياتها والنجوم مستمعها»

كل شخص فى مدينة طنطا يبدو عليه خارجا
مساء الخميس من منزله

« هذه ليلتنا الكبيرة هكذا قال لى مدير الفندق قبل
أن يفاديه

الناس بداوا يتحركون فى الشوارع واحد هنا ، واحد هناك ،
هناك كثير من الضحكات والتحيات حولنا رجل يتمتم لزميل له
فى صوت خفيض مشيرا نحونا « ٠٠ يا ابنى دول من مصر
دول يظهر من سميعه أم كلثوم !

لقد ذهبت الى طنطا لأشاهد هذا الحفل كمجرد نموذج لحفلات
أم كلثوم ولكنه فى الواقع لم يكن يختلف عن أى حفل آخر
لها الا فى المكان ٠٠٠

لا تكاد تمر دقيقة من الزمن ، أو مائة متر من السير دون
أن تسمع اسم أم كلثوم على الألسن ان مدينة طنطا بدت فى
ثوب آخر وشكل آخر هذه الليلة فرح ان طنطا - من النظرة
الأولى - قد أعدت نفسها لهذه المناسبة

وفى هذا المساء بدأت طنطا تعبر عن عواطفها نحو أم كلثوم ٠٠
عواطف تدخرها طنطا لهذه المناسبة منذ زمن طويل مضى ٠ هذا
واضح من كل هذه الانوار كل هذه الزينات كل هؤلاء
الناس

مظاهر الفرح والزينة تقود كلها الى مكان واحد الاستاد
الرياضى هذا هو أضخم مكان تملكه طنطا ٠ لهذا اختارتها
المدينة مكانا لحفل أم كلثوم الليلة سرادق ٠٠ فى الهواء الطلق
مضى منظم واسع خمسة آلاف كرسى ٠

بعض الكراسى الامامية مازال خاليا ٠ معظم الكراسى تم شغلها
الضحكات تأتي من الخلف ٠ ضحكات يقظة ٠ الجميع يبدو عليهم

أنهم استعدوا مبكرا لهذه الليلة والجميع يبدو عليهم أنهم ناموا عدة ساعات بعد ظهر اليوم استعدادا للسهر مع أم كلثوم الجميع ظلوا يدربون أنفسهم طوال النهار على الاستماع لأم كلثوم طوال الليل !

داخل السرايق يتزايد عدد الداخلين .. ويقل حجم الضوضاء داخل المسرح تجلس الفرقة الموسيقية خلف الستارة المغلقة من وراء الستار تستطيع أن تسمع ذلك الالتحام الدهش للأصوات الانسانية حول الفرقة تتصارع باقات الورد لتحتل مكانها فوق المسرح

ومن ركن جانبي خلف الستارة تستطيع أن ترى الجمهور ياه كل هذا العدد ؟!

ان ويليام ليرد كتب فى القرن السادس عشر يقول « مادام الغناء طيبا بهذا الشكل .. فأتمنى من كل الرجال أن يتعلموه » معه الحق !

ولكن نصف جمهور الليلة نساء اننى أستطيع بصعوبة أن أسمع خلفى سيدة تقول لزميلتها التى رأتها بالصدفة انت فين يا حبيبتي ؟ ايه الفستان الجبان ده ؟ طبعا اشتريته مخصوص علشان حفلة أم كلثوم هى هى هى !!



بعيدا عن المسرح ، والجمهور تستطيع أن ترى أم كلثوم وهى قادمة فى الطريق . لقد دخلت من الباب الخلفى للسرايق . باب سرى باب يؤدى الى غرفتها الخاصة فى المسرح

ومع ذلك فان عددا من الجمهور تسلل الى هناك فى انتظار أم كلثوم انهم يرغبون فى مصافحة أم كلثوم أو حتى رؤيتها . أمنية .

خلال لحظات كان الجمهور قد تزاخم حول أم كلثوم أين هى ؟ لا أستطيع أن أراها .

ونظرا لأن وجيه أباطة محافظ المدينة قد تنبأ بذلك مقدما فقد بدأ يرجو الجمهور أن يفسح الطريق لحظة لحظة ولحظة ثم بدأ الجمهور يستجيب للرجاء بدأ يفك الحزام من حول أم كلثوم وبدأت أم كلثوم تخترق هذا الحصار الجماهيرى كما لو كان حزاما من الاسباجيتى !



هل رأى الحب سكارى مثلنا

ونحن فى مساء الخميس

ان ام كلثوم تقيم حفلاتها دائما يوم الخميس . لقد اصبح لديها كومة من ايام الخميس هذه كومة تشكل رصيدها . . . ويعرفها الناس من خلالها . ان عمرها كله هو مجموع ليالى الخميس التى غنتها . حصيلة فنها كله تنفقها ليلة الخميس . فى تلك الليلة يقول لسلطانها سرا : اغنى واغنى واغنى . . . وأورى الخلايق فنى ، . من أجل هذه الليلة تعيش ام كلثوم . . ان الموهبة هى فن تنمية الموهبة . وموهبة ام كلثوم تتركز فى ان كل شيء فى حياتها يعمل بهدف تنمية موهبتها التى تبديها فى غنائها ليلة الخميس



وعندما بدأت ام كلثوم بدأ صحفى اجنبى يستمع اليها من خلالى

قال لى لا أدري سر هذه العلاقة بين الجمهور وبين ام كلثوم . انها لا تخرج لا تبتكر لا تخلق . انها ليست كاتبا ولا مؤلفا ، ولا ملحننا . انها مجرد سيدة تغنى . تغنى ألحان الآخرين وكلمات الآخرين

وقلت له نعم هي سيدة وهي تغنى ولكنها فنانة
حينما تغنى ساحرة عندما تكون فنانة قمة عندما تكون
ساحرة متواضعة حينما تكون فى القمة انسانة حينما تكون
متواضعة

ام كلثوم هي هذا كله راقبها مثلا وهي تغنى

ان ام كلثوم حينما تغنى فانها لا تكون مجرد مطربة تقف
امام ميكروفون فوق مسرح بين جمهور داخل صالة وسط مدينة

انها تجعل الميكروفون يتراجع والمسرح يهتز والجمهور يقفز
والمدينة تسهر والبلد يرقص والفن يغنى . انها تصنع من صوتها
وعواطفها ومشاعرها شبكة ضخمة تمسك بهم - بمستمعيها -
بحيث يصبح كل شيء فيهم كالأخر كل واحد مندمج فى الآخر .
نحن ، انت ، هم ، هو ، كل شيء يفقد شخصيته ويجد معنى
جديدا وعواطف جديدة لمدة محدودة من الزمن .

ان المستمع يقبل معها على الحياة فى بداية غنائها - رباعيات
الخيام - حينما تنادى « هبوا املأوا كاس الطلى قبل ان ..
تملا كاس العمر كف القدر » .

هكذا يطرب معها الجمهور . دعوة صريحة للاقبال على الحياة
والتمسك بها الجمهور مقتنع

ومع ذلك لا تكاد تقوت ساعة حتى يقتنع الجمهور بشيء
آخر . يقتنع بغنائها متوسلة الى الله « ان لم أكن اخلصت فى
طاعتك .. فاننى اطمع فى رحمتك »

لقد رغب الجمهور فى الحياة منذ ساعة ، ثم طلب الرحمة
منذ ساعة رغب الجمهور فى الخمر منذ لحظة ثم استغرب
ذلك بعد لحظة استغفر الله .

ولقد كان الجمهور مقتنعا بما غنته ام كلثوم فى كل مرة ان
ام كلثوم غنت رباعيات الخيام وهي فى غنائها جسمت نصف
الجنة ، ولكنها عادت بعد قليل تحذر بنصف الجحيم النتيجة:
خرج الجمهور باذن من بداية القصيدة واذن مع نهايتها
خرج بعين فى الجنة ، وعين فى النار بقلب يرغب . وقلب
- هو نفسه - يرجو المفرة سبحان التواب الرحيم

وتستطيع ان تراقب الجمهور بطريقة اخرى الجمهور يقفز
فى بداية عمر الخيام الجمهور يصيح يهتف يصفق

وفى نهاية القصيدة فان الجمهور مازال يصفق ولكن بعد أن
جلس على الكراسى انه يصفق انه يتحسر . انه يصفق بحسرة .

★ ★ ★

والجمهور بالنسبة لأم كلثوم هو جزء من غنائها ان دوره
رئيسى جدا . . . تماما كدور الملحن والمؤلف والعازف . غناء
أم كلثوم هو أحلى طرب يسمعه هذا الجمهور . وتصفيق الجمهور
هو أحلى أغنية تسمعها أم كلثوم لو لم يوجد هذا الجمهور
ما كانت ستوجد أم كلثوم ولو لم توجد أم كلثوم ما كان
سيوجد هذا الجمهور فى الواقع لا يمكن تصور أم كلثوم بغير
هذا الجمهور ، ولا هذا الجمهور بغير أم كلثوم الشيء وظله .
الصوت وصداه . الشهيق والزفير كلاهما يكمل الآخر
يفسر الآخر جزء من الآخر .

لقد تخصص هذا الجمهور فى سماع أم كلثوم ولكن
الحقيقة الأخرى ان أم كلثوم تخصصت هى أيضا فى «سماع»
هذا الجمهور . ان أم كلثوم تحاول أن ترضى ذوق كل مستمع .
بالطبع هى لا تفعل . لا تستطيع . لا يمكن استحيل ومع
ذلك فهى تحاول

ان أم كلثوم - قبل أن تغنى بلحظات - تتطلع الى الجمهور من
خلف الستار . نظرات سريعة فاحصة . مساء الخير أيها الجمهور!
كل صيحة من الجمهور لها معناها الخاص فى قاموس أم كلثوم .
انها تتعامل مع جمهورها بشفرة سرية بكلمة بنظرة .
باشارة بهمسة

★ ★ ★

وعندما تبدأ فى الغناء فانها تبدأ فى اطلاق بالونات اختبار
غنائية اه هنا . . . واه هناك . حذف هنا وإضافة هناك .

وللحظات قليلة فان أم كلثوم - بينما تغنى - تتبادل الادوار
مع الجمهور هو يغنى وهى تستمع ! هو - أقصد - يصفق
. . . وهى تبتهج . هو يحيى وهى تتدلل . علاقة تقوم على
الايقاع . ايقاع الحياة خذ وهات . ايقاع البحر مد وجذر .
ايقاع السماء : نور وظلام ، ايقاع الرقص هى وهو . أنت
فى هذا الحفل تشعر بنفس الايقاع غناء من أم كلثوم . وتصفيق
من الجمهور خذ وهات . خذ غناء . . . وهات سعادة



ام كلثوم في حديث الماضي مع سابعه صادق أثناء حفلها في مدينة طنطا



• القلب يمشى كل
جبل •

في هذه اللحظات تجد ان عيني ام كلثوم وانديها متفرعة
تماما لسماع الجمهور انه يهلل .. هي تتوقف .. انه يطرب
هي تستمع انه يطلب التكرار هي تعيد انه يلح ..
هي تعيد مرة أخرى انه يتذوق انه انه يصفق لام كلثوم .

مرة أخرى تستمع ام كلثوم الى التصفيق انها هنا تحاول
ان تصبح كالكتشف كل شيء امامها له معنى ورمز تصبح
كقبطان سفينة يستدير دائما ليكون مع الريح تصبح ككيميائي ! اذا
سيموجراف كل هزة طرب تسجلها . تصبح ككيميائي ! اذا
اضفنا كذا لكذا تكون النتيجة استمتاع الجمهور . تصبح
كالاطباء الصينيين القدامى تعرف كيف تقيس كل نبضة قلب .

ان ام كلثوم بالنسبة لهذا الجمهور هي تاريخ انها تاريخ
اسلوب كامل في الموسيقى والفنساء والطرب تاريخ ينتظر



في تونس .. بين الجماهير .. بعد أن انتصت
شارعا أطلقوا عليه « نهج أم كلثوم »

أم كلثوم حتى يطوى صفحائه حتى ينصرف فالغناء الفردي
- بهذا الشكل .. بهذا الأسلوب .. بهذه الطريقة - والطرب
الغنائى بهذه الآلات بهذا التكرار كل هذا كان من
المفروض أن ينتهى منذ سنوات طويلة مضت ولكن أم كلثوم
أضافت ملحقا لهذا الفصل المنتهى فى تاريخ الموسيقى الشرقية .
أم كلثوم أعادت الشباب للموسيقى الشرقية هى نفسها دواء
للشباب جرعة للشباب هى نفسها أطالت أنفاس هذا النوع
من الغناء بعد أن تقطعت أنفاسه منذ زمن طويل .

وأم كلثوم أنفاسها طويلة غنائيا طويلة مستمرة
مرتفعة انها أيضا تجد أن الجمهور يطلب منها ما لا يقبله من
غيرها استثناء أن الكلمات التى يقرأها الناس فى دقيقة
ويغنيها المطربون فى عشر دقائق تغنيها أم كلثوم فى ساعتين .
المقطع الواحد تعيده مرة ومرة وثمانى مرات ! فعلا ثمانى
مرات كما حدث فى أغنية « انت عمرى » وفى كل مرة



ودارت الايام
ومرت الايام

يزيد انفعال الجمهور ولا يتناقص انفعال لا يتناقص ولا يتجمد،
ولكنه يتضاعف .

وهذا الجمهور ينقل انفعاله واعجابه بأم كلثوم من جيل الى جيل وراثه خذ مثلا ما كتبه جمال الدين حافظ عوض سنة ١٩٢٦ يقول « كانت الأنسة أم كلثوم ومازالت الى اليوم، موضع اعجاب الناس من الفنانين والموسيقيين وأصحاب الأذان السليمة وكانت لا تحبى ليلة تنشد فيها الا ويمتلئ المكان ويفص بالجمهور وذاع اسمها وانتشر صيتها وتهافت الامراء والاعيان على الاستمتاع بصوتها المطرب فى حفلاتهم الخاصة ،

ولو حذفتم كلمة « كانت » مما كتبه جمال الدين حافظ سنة ١٩٢٦ فسوف يظل الوصف صادقا اليوم . مازال الجمهور هو هو



عندما تغني ام كلثوم
عن الحب .. يصلح
الحب مشكلة شخصية
بالنسبة لكل واحد من
جمهورها .

بعد أن أصبح أكبر مازال الاعجاب هو هو ولكن اضعف
مازال الانفعال هو هو ولكن أقوى
استمع اليها مثلا في أى حفل عام وهي تغنى راقب الجمهور
ايضا وكيف يفعل
انها تغنى « فات الميعاد .. وبقينا بعاد » خسارة انها
خسارة عاطفية شخصية لكل واحد من المستمعين
اذا عدت خلفا راقبها وهي تغنى « انا لن اعود اليك
مهما استرحمت دقات قلبي » حرام !



بورقية ونزوحته يستمان الى ام كلثوم مع
الجمهور النساء فئاتها لي تونس بين الجماهير ..
جماهير سيدة الفناء العربي .

او وهى تغنى « ما بين بعدك وشوقى اليك وبين قريك
وخوفى عليك .. دليلي احترار وحيرنى » . مشكلة مشكلة
عاطفية شخصية يحس بها كل مستمع من هذا الجمهور
واذا تقدمنا الى الامام فسندسمع اليها تغنى كلمات ابراهيم ناجي
يا فزادى لا تسلم أين الهوى كان صرحا من خيال فهوى
اسقنى واشرب على اطلاله وارو عنى طالما الدمع روى
هكذا تبدأ ام كلثوم فى قصيدة الاطلال ولكنها ما تكاد تصل
الى آخر خمس كلمات حتى يصبح كل شيء حولها اطلالا اطلال
غناء، اطلال حب اطلال جمهور ام كلثوم نفسها تصبح احيانا
اطلالا ! لقد رأها رأتى مرة وهى تأخذ حقتة طيبة قبل الغناء
لكى تساعدنا على الوقوف ساعة وهى تشكو منها .
كل شيء يصبح اطلالا، ماعدا عواطف الجمهور نحو ام كلثوم .
ان الجمهور يعجب بها كما لم يعجب بها من قبل وهى تغنى
له كما لم تغن من قبل

★ ★ ★

والجمهور يقبل من ام كلثوم ما لا يقبله من غيرها فى
الواقع هى تحس ان لديها توكيلا على بياض من جمهورها لكى
تختار له وتغنى له ما تختاره وتغير فيما تغنيه

الجمهور يعلم مثلاً أن قصيدة ابراهيم ناجي تبدأ هكذا
يا فؤادي رحم الله الهوى ، ولكنه يغفر لأم كلثوم أن تغنيها
يا فؤادي لا تسلى أين الهوى

وفي قصيدة ريم على القاع لأحمد شوقي يقول الشاعر « فرب
منتصت والقلب فى صمم » . ولكنه يغفر لأم كلثوم أن تغنيها
« فرب مستمع والقلب فى صمم »

الجمهور يغفر لها إذن ما لا يمكن غفرانه أنه جمهور
استثنائي . جمهور حساس لكل كلمة من أم كلثوم كل همسة .
كل آه . قليل من النغم طرب قليل من الآهات متعة

وحينما تغنى أم كلثوم فكل شيء يصبح فى خدمة غنائها
قدماها تتحركان - خطوتين الى الامام وخطوة الى الخلف
يداما تساعدانها فى الغناء برقة كما فى أغنية «رق الحبيب» .
بعنف كما فى نشيد «فدائيون» . بكبرياء فى أغنية «فات الميعاد» .
بتقاؤل فى أغنية «أنت عمرى» . بحسرة فى قصيدة «الاطلال»
بابتهاال فى قصيدة « ولد الهدى » . بمنديل فى جميع الاحوال

ان وجهها يعبر بانفعال يداها تحتضنان الهواء عيناها
تؤكدان المعنى . أذناها تجمعان الحصيلة

الحصيلة هى أن كل مستمع يحس أن أم كلثوم تغنى له شخصيا .
تغنى له على انفراد ولكن على مسمع من الملايين

الحصيلة أنها عندما تغنى فان الجمهور يحس أن الحياة هى
موت بغير غناء بغير طرب . بغير حب .

الحصيلة ان أم كلثوم قامت بعملية تأميم لعاطة الحب أصبح
الحب ملكية عامة حبا للجميع

وأنت لا تستطيع ان تسأل أم كلثوم ما هو الحب ؟ إذن . .
اسأل من يصلى : من هو الله ؟ اسأل من يعيش ما هى
الحياة ؟ اسأل من يتنفس ما هو الهواء !

الحب الذى تعبر عنه أغاني أم كلثوم هو حب من نوع خاص .
حب يجعل النهار أطول والليل أقصر والقمر ينير أكثر والنجوم
تصبح أجمل وأكبر والشجر قبل الربيع نراه أخضر

ان الفيلسوف الاغريقى افلاطون كان يرى ان الحب - من بين



امام مبرج اوليميا
في باريس . . الجمهور
في انتظار التلاوة التي
نظمت قبل ان تقضى
ام كلثوم .

جميع آلهة الاغريق - هو احسن صديق للرجال احسن مساعد
لهم احسن شاف لأمراضهم

وهذا المفهوم نفسه تجده في أغاني أم كلثوم حب للحب
تماما كالفن للفن كالحياة للحياة . ان الحب - في أغانيها -
يتألم بلذة يضحى في صمت يتعذب في سعادة ، يقاسى من
بعميد انه حب لا ينتظر تعويضا عن عذابه لا يتوقع مكافأة .
الحب مستمر . شيء لا مفر منه حكم أبدي قدر . انه عاطفة
يبحث عنها العاشقان مع علمهما مقدما بأنهما سيتألمان ولكنهما



أم كلثوم في السودان .. موكب رسمي وشعبي
يعيط بهما الآلاف من أبناء الشعب السوداني
الشقيق .

- في النهاية - يقولان مع ايمرسون « كل المتع الاخرى
لا تستحق الامها .. الا الحب » !

وأم كلثوم - في تعبيرها غنائيا عن هذا المفهوم من الحب -
انما تعبر عن مفهوم اساسي طلبه الانسان من الحب زمنا طويلا
فالانسان - منذ البداية - يعيش بالحب . وفي الحضارات القديمة
جعل الانسان للحب الها قالحب هو الاقدم بين كل الآلهة
موجود قبل كل الآلهة هكذا تصور الاغريق مثلا ان كيوبيد
عندهم له صفات أربع انه طفل دائما اعمى دائما عار
دائما يرمى سهامه دائما

والحب في اغاني أم كلثوم لايعبر عن موقف غالبا انه يعبر
عن حالة نفسية

ان الهوى في اغانيها بلا مواعيد وعندما ياتي فانه غلاب .
هجره مرار وعذاب . يومه بسنة كل شيء فيه بقضاء

والحبيب في اغانيها له ابطاء المذل المنعم وتجنى القابر
المتحكم . يجرمها من رضاه . يشجيه انينها

انها تهجره حتى تنسى هواه وتودع قلبه القاسى ولكنها
تكتشف انها تفكر فيه وهى ناسية !

انها تناديه على مشهد من « الليل وسماه ونجومه وقمره
وسهره » ..

انه عمرها انه حبيب الأمس وحبيب اليوم وحبيب
غدا حبيب لكل العصور

انه يغمض عينيه حتى يراها يوحشها وهى أمام عينيه
وحبها له فيه « وصال ودلال ورضاء وخصام من
ده وده »

و - الحب كده

ازاى كده ؟ ..

أهو ده اللي جرى !

انها اذن صورة تحدد أبعاد الحب محير دائما مؤلم دائما
ممتع دائما انه حكم على الجميع ضرورى للجميع . انه حب
للجميع ! انه حب لا يعبر عن الواقع كصورة فوتوغرافية انه
يجمع الواقع كلوحة زيتية ليس موقفا ولكنه حالة ليس
حقيقية .. انه خيال .

ولكن الحب فى أغاني أم كلثوم لا ينفرد بهذا الوضع الخاص .
وضع استثنائى . ان كلمات الحب أيضا لها وضع استثنائى

لقد سمعت مرة رئيس وزراء ولاية بماليزيا يقول لأم كلثوم
« اننا نتعلم اللغة العربية من خلال أغانيك » !

فى الواقع أن أم كلثوم تعيد الحياة الى كلمات كثيرة فى اللغة
العربية هجرناها منذ مدة طويلة انها تقوم بعملية تلميع للكلمات
علاما صدا كثير فتصبح براقه ناصعة ومفهومة ! انها تقوم
فى الواقع بالتوسط بيننا وبين اللغة العربية الفصحى وساطة
مقبولة من الجانبين .

خذ مثلا هذا البيت من قصيدة أحمد شوقي (سلوا كؤوس الطلا)

باتت على الروض تسقيني بصافية

لا للسلاف ولا للورد رياها

او - هذا البيت

حمامة الايك من بالشجو طارحها

ومن وراء الدجى بالشوق ناجاها



ام كلثوم تصافح
الملك محمد الخامس
ثناء زيارته للقاهرة
في يناير سنة ١٩٦٠

ان اى صحيفة لو نشرت هذه الابيات الآن لاحتاجت الى توزيع
قاموس معها لشرحها . قاموس تقول فيه ان « الأيك » هو نوع
من الشجر . وأن « الدجى » معناها الليل . و « الشجو »
هو الهوى ..

لن تجد هذه الكلمات اليوم فى كتاب ، او مجلة ، او صحيفة ،
ولا حتى فى مؤلف جامعى . نادر .

★ ★ ★

وسحر ام كلثوم يتركز اولا فى شخصيتها . وثانيا فى صوتها .
صوت ابعاده من ٦٠ الى ١٦ ألف نذبذة فى الثانية . بينما اقوى



.. الله يخل صحتي ..
ايك .. كلمات لانتها
فيروز لام كلثوم في بيروت
.. ثم قبله على الخدين ..

صوت يليها يصل الى ١٠ الاف دذبذة في الثانية فقط حقيقة علمية ..

هذا الصوت هو الذي عطل المرور في حي شبرا بالقاهرة ساعتين عندما اذيعت اغنية « انت عمرى » سنة ١٩٦٤ حتى شبرا يسكنه مليونان من السكان

هذا هو الصوت الذي هفت له الجماهير في تونس قائلة اميكا ام كلثوم وعبرت عنه فيروز عندما ظلت تردد لها الله بيخلي ايك - ويسمونه في باكستان ممتازة الامتياز واستقبلوا صاحبه في السودان والمغرب والكويت استقبال رؤساء الدول !

هذا هو الصوت الذي كتبت عن صاحبه مجلة « تايم » الامريكية تقول « ان اسطورة ام كلثوم تكبر وتستمر منذ ٣٢ عاما

لأنها أشهر وأقوى شخصية فنية في الوطن العربي وليست هناك أية علامة على أن كوكب الشرق تتأثر بالزمن ، لأن العرب يؤمنون بأنه يزيدها قوة ويضيف إلى صوتها غنى وصفاء وفي الشرق الأوسط هناك شيان لا يتغيران ولا ينال منهما الزمن أم كلثوم والهرم ،

أما جريدة أوبزرفر البريطانية فتقول « أن أم كلثوم هي نجمة الغناء العربي التي تجمع كل العرب حول أجهزة الراديو في الخميس الأول من كل شهر خلال موسمها ابتداء من الخريف حتى مطلع الصيف . بينما المحظوظون الذين يستمعون إليها مباشرة في القاعة ويرتفع صوتها في حنان ويتماوج مع المشاعر ويعبر عنها أن أم كلثوم تعتبر مؤسسة وطنية راسخة تماما كالهرم الأكبر ،

وقالت « لومانيته » بعد حفلها في باريس أنها فنانة تملك سلطانا مدهشا تؤثر به على الجماهير

وقالت « الاسوشيتدبرس » لقد شهد الشرق الأوسط ثورات وانشقاقات ، وطرد ملوكا ، وظهر رجال أقوياء ولكن شعبية أم كلثوم بقيت كما هي منذ أكثر من نصف قرن . فهي ملكة الغناء العربي بلا منازع .

أما جريدة « فرانس سوار » فتكرر أن شهرة أم كلثوم فاقت شهرة أعظم المطربين في العالم الذين استمع إليهم الفرنسيون على مسرح الاوليمبيا . بل انها أصبحت أشهر من جان دارك وتفوقت على أدب بياض وماريا كالا . أن شهرة أم كلثوم في المنطقة العربية لا ترتفع إليها ولا تعادلها شهرة أي نجمة للغناء في هذا الجزء من العالم

هذا الجزء من العالم ؟

نعم هذا ماقلته الصحيفة الفرنسية

أن المنطقة كلها من المحيط إلى الخليج هي جزء واحد عندما تغنى أم كلثوم . سقطت الحواجز . ذابت الحدود . اتحدت الآذان داخل عشرة ملايين كيلو متر مربع هذه هي النقطة أن صوت أم كلثوم أقام أول سوق عربية مشتركة سوق في حال غير الحال ليلة تغنى أم كلثوم . كل الاذاعات تنقل صوتها كل المستمعين يعطونها أذانهم . القديم والجديد ، الحكام والرعايا الوزير والفقير راكب الجمل وراكب السيارة ساكن القصر وساكن

الكوخ مشاهد التلفزيون ومستمع الراديو ان غناء أم كلثوم موجود حيث توجد كل نسمة هواء في هذه المنطقة لقد تركت أم كلثوم بصماتها على الهواء الذي تتنفسه هذه الأمة الحياة غير الحياة عندما تغنى العواطف غير العواطف الناس غير الناس

« هبلى الناس يا أم كلثوم »

هكذا قالت لها احدى سيدات المجتمع معبرة عن اندفاع الجماهير لاستقبال أم كلثوم وهى تغنى فى تونس هكذا قال أيضا الصحفى الدافمركى دينيس دوبرلى عندما شاهدها تغنى فى ليبيا لم يكن يفهم ماتغنيه ولكنه كان يسمع كان يرى

★ ★ ★

« الا ترى » ؟ هكذا يسألنى جارى فى حفل أم كلثوم بطنطا أرى ماذا ؟ « ترى ثومة » ! طبعاً أرى . طبعاً أسمع أسمعك وأنت تهتف لها « ثانى يا ثومة » ! وادى زوجتك وهى تنظر الى أم كلثوم بالنظرة المعظمة صورة تجد مثلها دائماً فى جميع حفلات أم كلثوم وأرى الجميع فى حالة فرح وعندما زغردت واحدة من الحاضرات انفجر الجميع ضاحكين ضحكة رجل واحد !

طبعاً أسمع وأرى هذا كله أرى خلفى زوجا وأمامى عاشقا أما أنا فمنطقة محايدة ! أنا محاط بساندويتش من الأزواج والعشاق لقد جاء الزوج بزوجه فى يده وذكريات فى عقله ودمعة فى عينه ومندبل فى يده زوج مخلص

غناء أم كلثوم هو - بالنسبة للزوج - محاولة لتجميل الماضى وبالنسبة للعاشق محاولة لاكتشاف المستقبل

فالحب عند الاول ماض انتهى بدمعة وعند الثانى حاضر يتحرك بأبشامة

لم يعد الماضى بالنسبة للاول ذكرى انتهت منذ سنة ولا منذ خمس دقائق الماضى أصبح موجودا الآن الماضى أصبح حياة الماضى تحكى عنه أم كلثوم والله زمان يا حب !

والمستقبل بالنسبة للعاشق لم يعد شيئاً يطويه الغيب ولا هو شيء يحذر منه الاصدقاء المستقبل أصبح موجودا الآن يتحرك

على المسرح يتدلل فى الميكروفون المستقبل أصبح هذا الذى
تكشفه أم كلثوم بغنائها • المستقبل أصبح كل هذا الحب هذا
الدلال •• هذا الألم هذا السحر هذه المتعة

والزوج معه طفلة طفلة فى الثانية عشرة على ما يبدو أنها
تستمع أيضا الى أغنية الحب التى تغنيها أم كلثوم تستمع بمتعة
وشغف لقصة حب ترويها أم كلثوم تستمع اليها كما لو كانت
تنظر من ثقب الباب لترى ماذا يفعل الآخرون عندما يحبون !
اصبرى قليلا يا عزيزتى الصغيرة !

★ ★ ★

اننا نقول فى المسرح ان هاملت - بطل شيكسبير - هو رمز للشك
وأن «عطيل» - بطل شيكسبير أيضا - هو رمز للغيرة

ولقد أصبحت أم كلثوم رمزا للحب أصبحت كذلك حتى
بالنسبة للذين لم يجربوا الحب بعد • حتى بالنسبة للذين يعتبرون
الحب ذنبا واثما • حتى هؤلاء يستمعون اليها كما لو كانوا يقومون
برحلة الى عالم الذنوب دون أن يرتكبوا ذنبا يسبحون فى البحر
دون أن تبتل ملابسهم

وعندما انتهت أم كلثوم من غنائها بدأ الجمهور - بصعوبة -
يفادر كراسيه وبدأت الساعات فى أيدى الجمهور تعود الى
الدوران بعد أن توقفت عقاربها أربع ساعات حتى تستمع

بدأ الجمهور يعود الى منازلهم • انتهى الليل وسماء
ونجومه وقمره وسهره • لم يعد هناك سوى « انت ••
وأنا » كلنا الآن فى الحب سواء كلنا كنا فى ليلة من الف ليلة •

من الآن فصاعدا لن يكون الحب اثما • من الآن فصاعدا لا خطيئة
لا ذنب لا خوف لا انتظار لا فراق لا ألم من الفراق

لقد تحققت النهاية أصبح لنا قلب جديد وعواطف جديدة
عاد الجمهور الى منازلهم اثنين اثنين

عاد بالخطوة البطيئة





أم كلثوم في البيت



« كل منا يبحث في السعادة
عن الجزء الذي يهمله »
« أم كلثوم »

أم كلثوم ست بيت فاشلة جدا ٠٠!

انها مثلا لا تجيد الطبخ ! فى الواقع أنها لم تحاول مرة أن تطبخ ولا مرة ٠٠! انها لو حاولت فالنتيجة معروفة مقدما ! لهذا فان أم كلثوم لا تتدخل فى أعمال منزلها لديها من يقوم بذلك

ولكنها تتدخل فى أشياء أخرى تنسيق الغرف مثلا المكان الذى تعلق فيه اللوحات الفنية مثل آخر ٠ لوحة نحاسية للعدراء تجدها فى المدخل لوحة زيتية للفنان صلاح طاهر فى الصالون ٠ لوحة أخرى تمثل الفلاحة المصرية فى الغرفة الاولى ٠٠ وهكذا ٠ وزوج أم كلثوم له ذوقه فى المنزل أيضا ان مهنته - كطبيب - تحدد ملامح ذوقه الدقة النظام الترتيب

ولهذا فبينما يخالف الدكتور حسن الحفناوى عن زوجته أم كلثوم فى مواعيد وأسلوب العمل والعادات المنزلية فانهما يتفقان فى شيء آخر الذوق الفنى ٠

والواقع أن اتفاق الذوق الفنى كان أول نقطة اتفق فيها الدكتور حسن الحفناوى وزوجته هذا الاتفاق هو الذى أدى الى زواجهما فى سنة ١٩٥٥

كان الدكتور حسن من أبرز أطباء الأمراض الجلدية (الآن أستاذ فى طب عين شمس) وعندما يصبح الطبيب موهوبا فغالبا ما تمتد موهبته الى دائرة الادب والفن الدكتور نجيب محفوظ طبيب أمراض النساء مثل لذلك الدكتور محمد كامل حسين طبيب أمراض العظام مثل ثان الدكتور حسن الحفناوى مثل ثالث

والدكتور حسن من « سميعة » أم كلثوم هكذا بدأت علاقتهما
مستمع ومطربة

ولكن أم كلثوم كانت تتردد عليه للعلاج فى سنة ١٩٥٤ علاقة
عادية أخرى طبيب ومريضة

وتطورت هذه العلاقة العادية الى اتفاق عاطفى ثم الى
الزواج وتم الزواج بعد عودة أم كلثوم من رحلتها الى أمريكا
للعلاج تم فى سنة ١٩٥٥

وعندما تجلس أم كلثوم لن تسمع اسم حسن الحفناوى

وعندما تجلس مع الدكتور حسن لن تسمع اسم أم كلثوم

وجزاء كبير من مجهود الدكتور الحفناوى يضيع فى الهرب من
الصحفيين • قبل الزواج كان يحضر حفلاتها العامة بانتظام • بعد
الزواج اكتشفته عدسات المصورين فتوقف عن الذهاب واكتفى
بسماع زوجته فى البيت وعندما بدأت أم كلثوم تسافر الى
الدول العربية للغناء كان الدكتور حسن يذهب الى المطار لتوديعها
ومرة أخرى اكتشفته عدسات المصورين فتوقف عن الذهاب الى
المطار ، واكتفى بتوديع زوجته فى البيت

ان هذه التصرفات - وغيرها كثير- هى اصرار من الطرفين على
الا تختلط حياتهما الخاصة بحياتهما العامة اصرار يصل أحيانا
الى حد التزمّت انه تزمّت لان شخصية الانسان واحدة فى
الحالين أمام الناس وبعيدا عن الناس انها شخصية واحدة ••
أو من المفروض أن تكون واحدة لهذا فان البحث فى الجانب
الشخصى لحياة الفنان هو أمر مهم فى الحدود التى تؤدى الى
استكمال بحث شخصيته العامة •

ولكن مثل هذا الرأى لا يقنع أم كلثوم بسهولة وللفترة طويلة
جدا - مازالت مستمرة - لم يكن أى صحفى يستطيع أن يسأل
أم كلثوم عن حياتها الخاصة • عيب ان الصحفى يترك أم كلثوم
فى النهاية - بأصبع على شفتيه - دون أن يناقش حياتها
الخاصة •

ولكن أم كلثوم تطورت يستطيع الصحفى الآن أن يناقشها
بدرجة محدودة فى حياتها الخاصة • ولكنه سيكتشف بعد لحظة
أن أم كلثوم قد حولت الحديث عن حياتها الى حديث عن فنّها • فن !



ام كلثوم وحدها
مع نشرة الاخبار

ان هذه العزلة التي تقيسها ام كلثوم بين شخصيتها العامة
وشخصيتها الخاصة لها مظاهر كثيرة في حياتها نفسها

ان الفيلا التي تسكنها ام كلثوم تقع على الجانب الغربى من
نيل القاهرة فيلا ودية اللون

والفيلا يحيطها سور دائرى هذا السور هو حاجز بين ام كلثوم
التي يعرفها الناس وام كلثوم التي لا يعرفها الناس حاجز
مرتفع ، قبل هذا السور تحتفظ ام كلثوم لنفسها بمسلطتها كفنانة .
بعد السور تحتفظ لنفسها بحريتها كزوجة ، كانسانة كفرد
عابدى هنا - فى داخل هذه الفيلا - تريد ام كلثوم ان تستريح ،
تستريح ، تستريح انها تستريح كمقدمة لعمل غنائى جديد .
فالفناء ايضا يحتاج الى مجهود . الفناء يحتاج الى استعداد
الفناء ما هذا ؟ لقد بدانا بحياة ام كلثوم فانتبهنا الى غناء
ام كلثوم ! ألم اقل لك ان ام كلثوم تحول كل حديث عن حياتها الى
حديث عن فنا ١٩ انتباه .

★ ★ ★

ان شخصية ام كلثوم كفنانة هي امتداد لشخصيتها كانسانة
انها غير عادية فى فنا . لهذا تصر على ان تكون عادية فى حياتها

فى أسلوبها فى حديثها هذا هو الانطباع الاول الذى
تخرج به بعد أول دقيقة من الحديث مع أم كلثوم فى بيتها

ان وجهها - فى بداية الحديث - يعطى لنفسه أجازة من الانفعال
مستمعا الى مايقوله أنت على هذا الوجه نظارة سوداء خلف
النظارة تختفى عين أم كلثوم متنكرة ان الانطباع الدائم الذى
تتركه عينها هو قوة الارادة عندما تصل هذه القوة الى حدها
الاقصى تصبح عنادا عندما تهبط الى حدها الأدنى تصبح اصرارا .

واذا تكلمت أم كلثوم فانها تضغط دائما على حروف الكلمات .
يذاها تساعدان فى هذا الضغط تعبيرات وجهها تؤكد المعنى
وجه خال من الزوايا القاطعة معبأ بالعواطف الحادة

ان الكلمات تخرج من فم أم كلثوم متلازمة مع جو الحديث انها
كلمات حارة غالبا باردة نادرا كلمات مكيفة الهواء



ولكن أم كلثوم لا تنمىج فى أى حديث من السطر الاول

انها - فى البداية - تتكلم برأسها ، لا بشفتيها انها تستمع . .
وتستمع كلمة أو كلمتين ، ثم تستمع مرة أخرى

أقول ان أم كلثوم فى حياتها الخاصة منعزلة عن الناس هذه
العادة جعلتني أقول لها مرة . انك قضيت ساعات وساعات على
امتداد حياتك الفنية أمام الكاميرات والميكروفونات تجيبين
وتسألين . ان هذا كله يشير الى أنك تحبين الناس أو تهتمين
بسماع آرائهم على الأقل . ومع ذلك فأنا أعرف أنك فى حياتك
الخاصة نادرا ماتخطلطين بالناس نادرا ما تلقيين المسافة بينك
وبينهم . ألا ترين ان هذا تناقض ؟

وكان رد أم كلثوم ببساطة هذا صحيح اننى اهتم بمتابعة
آراء المجتمع فيما أقدمه ولكننى مع ذلك لست نجمة مجتمع
لست كذلك بمعنى أننى لا أفضل ان يرانى الناس فى كل ركن
يستديرون اليه . لا أفضل ان اكون من الذين يراهم الناس
موجودين فى كل سهرة ظاهرين فى كل مناسبة . على ذلك .
فأنا لست من الذين يزورون كثيرا أو يزارون كثيرا لست من
الذين يعيشون حياة صاحبة . انا حريصة فقط على أن أقوم
بدورى الفنى بعدما أانسحب فوراً متراجعة الى حياتى الخاصة .

تعرف ليه ؟ لان الفنان اما ان يبني نفسه او يدمر نفسه وأنا حريصة - حتى الآن - على ان ابني نفسي وهذا فى الواقع ليس تناقضا كما قد يبدو ان عملى يفرض على بعض الاعباء التى جعلتنى اختار هذا الاسلوب فى الحياة

وعدت اسأل ام كلثوم ما الذى جعلك تصبحين فنانة ؟

وردت بسرعة " لم اكن مطلقا اى شىء آخر ولا اريد ان اكون اى شىء آخر " .

هنا رفضت ان اقنع برد ام كلثوم !

رفضت لاننى لا استطيع ان اقول امين هنا بسهولة حتى لام كلثوم !

قلت لها انك تحدثينى كما لو كان عملك هو كل شىء فى حياتك ومع ذلك فانا اعلم ان هذا غير صحيح اعلم مثلا انك تعطين حياتك الزوجية اهتماما يساوى على الاقل اهتمامك بعملك . اليس كذلك ؟

وضحكت ام كلثوم وهى ترد طبعاً " هذا شىء وهذا شىء " . مادمت زوجة فلا بد ان اقوم بواجباتى كزوجة لابد الا يكون انشغالى بعملى عذرا لتقصيرى فى حياتى الزوجية ومع ذلك فحتى هنا ليست هذه هى القاعدة دائما هناك استثناءات احيانا استثناءات زوجية ، ليست مشاكل زوجية ان مايجعلها كذلك هو ان زوجى الدكتور حسن وأنا نقدر اعباء بعضنا احيانا ينهمك الدكتور حسن فى ابحاثه الطبية ويسهر معها وينشغل بها . أنا لا ألومه على ذلك . نحن اذن لا نتبادل المشاكل نحن نتبادل التقدير ان كلا منا يعلم ان المشاكل الزوجية سببها غالبا سوء التقدير ما دام لا يوجد سوء تقدير فلا توجد مشاكل على اننى لا اقول ان اختفاء سوء التقدير هو الاساس الوحيد للحياة الزوجية لابد ايضا من التقدير وفى هذه الحدود فأننى وزوجى نبني حياتنا على اساس من التقدير المستمر تقدير متبادل

★ ★ ★

ومن الامور المتكررة كل يوم جمعة ان تخرج ام كلثوم فى جولة مع زوجها سيرا على الاقدام فى شارع النيل . ان ام كلثوم تحب

المشي انها تسير يوميا لمدة ساعة تقريبا على النيل » ما عدا
أيام الصيف ، لأن الجو يبقى حر » .

وهي تصلى ومن أحسن أوقاتها تلك التي تجلس فيها ممدودة
القائمة حافية القدمين ، مرددة آيات القرآن الكريم أن الصلاة
والمشي جزءان من التقاليد الثابتة في حياة أم كلثوم مواعيد النوم
والاستيقاظ أيضا ثابتة غالبا . في اليوم العادي لا تتأخر عن النوم .
بالكثير حتى الساعة الحادية عشرة مساء ثم تستيقظ في الثامنة
صباحا لا افطار مجرد فنجال شاي الغداء أيضا حسب
الظروف أما الوجبة الرئيسية فهي العشاء

ولكن عندما تكون لديها بروفات أو حفل عام يتغير
الجدول ! الغداء يصبح هو الوجبة الرئيسية لحوم طيور
وخضراوات « الشعيرية » من أحب الاطعمة عند أم كلثوم بعد
الغداء تشرب دائما عصير فواكه طبيعي عصير معد في المنزل .
غالبا عصير جوافه

وفي ليلة الغناء لا تتناول أية أطعمة في المساء لا عشاء
ولكنها قبل الغناء لا بد أن تشرب فنجال قهوة بارد عادة
بعد الغناء ساندويتش ، ولا نوم حتى الصباح .

وحتى سنوات قليلة مضت كانت أم كلثوم تقوم دائما بزيارة
مسجد الحسين ومسجد السيدة زينب قبل أن تغني أما الآن
فهي تكفي بقراءة آيات من القرآن الكريم انها تتمتع بآيات
القرآن في كل خطوة حتى عندما تسير في الشارع أو تركب
سيارة لقد ركبت معي السيارة مرة في طريقها من منزلها الى
مبنى التلفزيون وفي أول خمس دقائق اكتشفت أن عقلها ليس
معى انها تردد آيات القرآن سرا بعد لحظات كانت مستعدة
للكلام ساعتها أبطأت السيارة وبدأت أجرى معها حوارا
بالخطوة السريعة

هكذا أجابت أم كلثوم

- ما هي أكبر خطيئة : أن ترى الخطأ ولا تنبه اليه

- احسن صديق شخص يشاركك المك

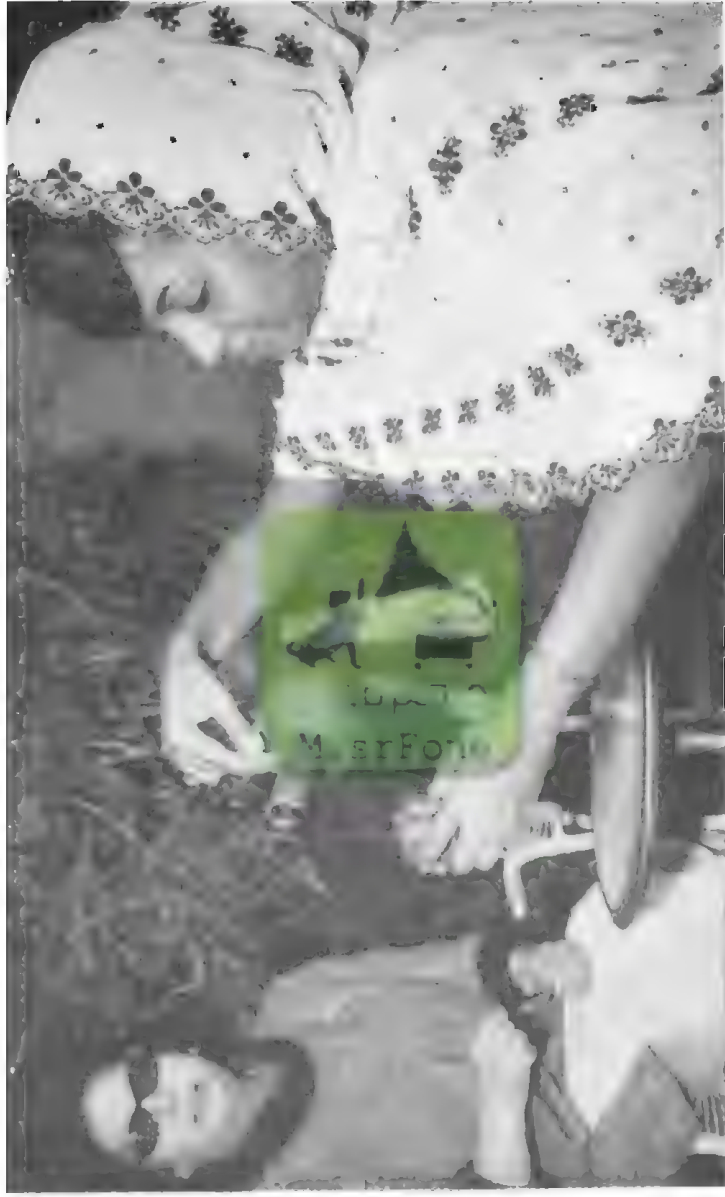
- احسن مكان حيث تنجح



ام كلثوم ، في زيارة
لضريح السيد البوى -
طخا .



- اقصر طريق للنجاح العمل
- احسن عمل الذى تحبه
- اكبر راحة ان تؤدى عملك جيدا
- اكبر خطأ اليأس انه موت مبكر !
- اسهل شيء ان تجد خطأ لشخص آخر
- اكبر عيب الغرور
- احسن مدرس شخص يرفض ان يجاملك
- احقر شعور الحسد
- اكبر لغز الحياة
- اعظم شيء فى العالم الحب
- اكبر مقلب شخص لا يفهم ما تريد
- اكبر عدو اسرائيل
- اعظم مهمة ان نفتدى بلدنا بحياتنا



المرأة السواحلية أنيقة بعشمة ، محترمة بأعجاب - حلة راي ام كلثوم

- اكبر امل ان تعود فلسطين
- اشرف واجب الدفاع عن الحق
- اسمى فكرة الله

★ ★ ★

ان أم كلثوم تتفاهل بقراءة القرآن الكريم وتتفاهل بحمل مصحف صغير في حقيبة يدها أينما تسير . ولكنها تتشاهم اذا نسيت ان تأخذ معها عند سفرها وسادة خاصة تنام عليها . في الواقع انها تكره أصلا ان تتشاهم لان « التشاؤم يتحول فيما بعد الى شؤم حقيقي »

والسعادة بالنسبة لأم كلثوم « مسألة نسبية » فما يسعدني قد لا يسعدك وما يسعدك قد لا يسعد شخصا ثالثا ان كلا منا يبحث في السعادة عن الجزء الذي يهمه »

اما المرأة في رأيها فهي « .. الأساس في كل شيء .. انها البداية نحو خلق أسرة متماسكة .. وكلما كانت المرأة مثقفة زادت قدرتها على فهم زوجها ودفعه الى الامام .. وما تقدمه بلدنا للمرأة اليوم سوف تسترده قيمة وثقافة وكفاءة من الجيل الجديد بعد عشرين سنة »

بعد هذه الجملة فان رأى أم كلثوم في المرأة يزيد تفصيلا من رأيها مثلا

« .. ان المرأة السودانية انيقة بحشمة ، محترمة باعجاب وهي بالفعل جديرة بالاحترام الذي يبديه لها الرجل السوداني . »
 « .. اما المرأة في المغرب وتونس فانها جميلة جدا .. خصوصا بزيها الوطني .. جميلة ومثقفة .. »

« .. والمرأة اللبنانية هي اسرع امرأة عربية الى الموضة ان الموضة تبدأ في بيروت دائما ثم تنتشر بعد ذلك .. »

« والمرأة الكويتية تحاول التوفيق بين حشمة مجتمعها وموضة بيروت . انها في منتصف المسافة بين المرأة السودانية والمرأة اللبنانية .. »

صلاح طاهر في لوحة يرسها لام كلثوم بمنزلها



٠٠ وعلى أى حال فإن المرأة العربية بصفة عامة أصبحت تهتم بالذوق الفنى أكثر من أى وقت مضى ٠٠ والذوق فى حد ذاته جزء من الثقافة ، ٠٠

والواقع أن أم كلثوم نفسها حريصة على الثقافة أنها تتحدث الفرنسية ، الى جانب قليل من الانجليزية وأم كلثوم تعزف على العود وهى تقرأ كثيرا . تقرأ الشعر انك لاتستطيع أن ترمى بحجر فى بيت أم كلثوم دون أن تصيب ديوانا من الشعر ٠٠ او حتى بيتا !

ان أم كلثوم تحتفظ بدواوين المتنبى وأبو نواس وابن الفارض ومهيار الديلمى تحتفظ بكتاب الاغانى لابی الفرج الاصفهانى وتحتفظ أيضا بمختارات محمود سامى البارودى واحمد شوقى وحافظ ابراهيم . من قراءاتها أيضا كتاب « كليله ودمنة » وكتاب « حديث عيسى بن هشام ، للمويلحى »

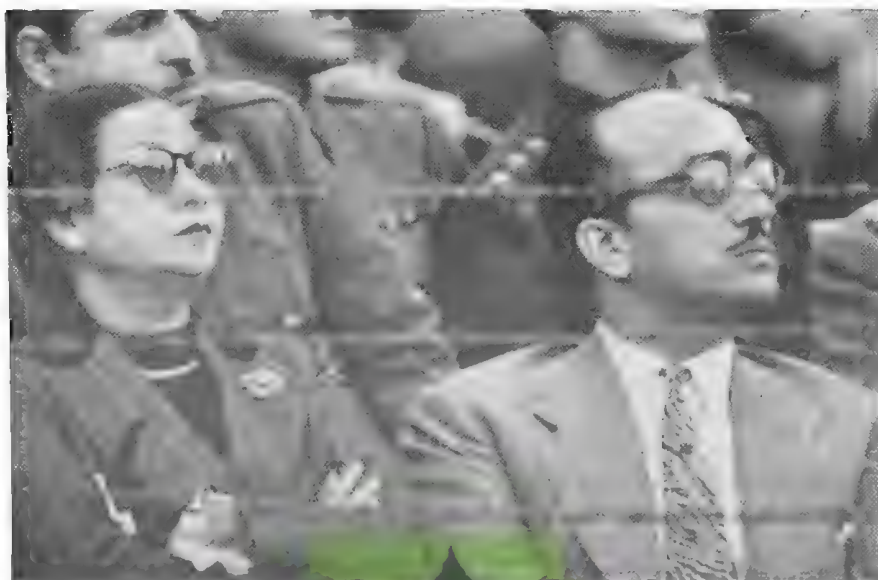
ومن الكتب التى تحب أن تقرأها وتعيد قراءتها كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل . وكتاب « الايام » للدكتور طه حسين

بعد الكتب كانت أم كلثوم تهوى مشاهدة الافلام السينمائية وبعض المسرحيات ، خصوصا مسرحيات يوسف وهبى . ولكنها توقفت عن ذلك منذ زمن طويل . لقد حل الراديو والتلفزيون محل السينما والمسرح . فى الراديو تحب سماع الموسيقى والبرامج الدينية

وبالاضافة الى ذلك فلديها عدد ضخم من الاسطوانات الموسيقية انها تحب سماع الموسيقى الهندية والتركية بالاضافة الى الموسيقى الشرقية

وأم كلثوم سبق أن حاولت التلحين ولكنها فشلت مرتين لقد لحت لنفسها فى مطلع حياتها الفنية طقطوقة (على عيني الهجر دا منى) ومونولوج (يانسيم الفجر ريان الندى) وهما من نظم الشاعر أحمد رامى ٠٠ ومسجلتان فعلا على أسطوانات

فى الواقع انها لم تشجع نفسها على الاستمرار فى هذا الاتجاه ، بالرغم من أن عددا من أصدقائها شجعها على ذلك السبب « ٠٠ اننى أرى أن الانسان لابد أن يرغب نفسه على التخصص » .



الدكتور حسن الحناوى مع زوجته ام كلثوم
شاهدان مباراة فى كرة القدم سنة ١٩٥٥

مصريون

وايمانها بالتخصص هو الذى يجعلها تؤمن بأن التلفزيون يجب
ان يكون لديه فنانوه المتخصصون انها تقول « .. كنت احب
عددا من الفنانين عندما كنت اسمعهم فى الراديو ولكننى عندما
بدأت اراهم فى التلفزيون قل اعجابى بهم »

★ ★ ★

وام كلثوم بعد هذا كله تحب ان تسمع نفسها انها تقول لنفسها
« اه » ! وهى عندما تفعل ذلك تكون بمفردها ام كلثوم وحدها .
مع ام كلثوم وهى تقول « .. اننى اسوأ مستمع لنفسى !
فحينما اسمع تسجيلاتى اسمعها باذن اخرى اذن الناقد
القاسى الناقد الذى يعرف ان كل شئ كان يمكن ان يكون
احسن ، وعملى كان يمكن ان يكون افضل . بل اننى لا ارضى عن
غنائى سوى مرتين فى السنة هما اللتان أحس فيهما فعلا اننى
تفوقت على نفسى » .

وهى تقول ايضا « اننى حريصة جدا علن أن تكون حياتى مليئة بأكبر قدر من العمل ، وأكبر قدر من النظام ان العمل والنظام لم يساعدانى فنيا فقط ، وانما ساعدانى صحيا ايضا بدرجة متساوية اننى مثلا مدينة لفنى بصحتى . ان النوم المبكر والسهر نادرا والقراءة المستمرة والاستماع الدائم ليست مجرد عادات اجتماعية أو ثقافية انها ايضا عادات فنية وبالإضافة الى ذلك فان الغناء بالنسبة لى هو متنفس لاشياء كثيرة متنفس لطاقت كثيرة لا اجد وسيلة أخرى للتعبير عنها

وهنا خطر لى فجأة أن أسأل أم كلثوم لماذا تغنين ؟

— لماذا تغنين ؟

— آه لاننى أريد أن اكتشف فى نفسى شيئا أريد التعبير عنه .
— وهل حققت لك أغانيك هذا التوقع ؟

— لا ليس بعد

— الا يمكن أن يكون غناؤك من أجل النقود أو من أجل الشهرة مثلا ؟

— ممكن ولكن هذا ليس صحيحا الآن ..
— ليه ؟

— أولا لأننى لم أعد فى حاجة الى النقود حاجتى اليها أيام طفولتى مثلا . نفس الاجابة بالنسبة للشهرة كل المسألة اننى أغنى لاننى أحس أحيانا بأنه ربما تكون لدى فكرة أريد أن انقلها أو عاطفة أريد أن أعبر عنها ، أو هواية أريد أن أمارسها تأتي بعد هذا كله نقطة هامة جدا ان الانسان لابد أن يعمل مادام قادرا على ذلك لابد أن يعمل لان قيمته هى عمله ليست ثروته .. ليست شهرته وأنا لا أتصور يوما من حياتى يمر من غير عمل اننى حريصة على أن تكون حاتى اطارا لعملى . حياتى هى الاطار والعمل شيء مكمل له شيء مجمل له ..

— بمناسبة العمل هل يتطلب عملك نفقات كثيرة فى بعض النواحي الملابس مثلا ؟

— لا ليس دائما وليس كثيرا آه تصور انه نشر عنى خبر مرة يقول ان الفستان السواريه الذى ارتديه يتكلف

٤٠ جنيه معقول ؟ لا أدري من أين جاءوا بهذا الرقم ان
فساتينى تتكلف أقل من ذلك بكثير . أقل جدا
- وافرضى انه يتكلف ٤٠٠ جنيه يجرى ايه ؟

- لا شيء الا ان المهم فى المسألة ليست تكاليف الفستان
انما ذوقه هكذا أرى وبالنسبة لى فاننى لا أثقل الموضة
مع أننى أتابعها أتابعها لكى أخذ منها ما يناسبنى أنا لا أريد
أن أرتدى فستانا يلفت نظر الناس والا تبقى معرض
موش موضة ! ان أهم أربع صفات فى الفستان الذى أرتديه هى
أولا - أن يكون حشمة . ثانيا - الا يكون متخلقا عن خطوط
الموضة السائدة ثالثا - أن يكون هناك ذوق فى اللونه

بمعنى ان تكون الالوان منسجمة فى تركيبها مع بعضها اما
الصفة الاخيرة فهى أن يكون الفستان بسيطا ان البساطة هى
دائما المشكلة . . وهى الحل !



وعندما انتهت أم كلثوم من كلماتها بدأت أفكر انه سوء تفاهم
هذا سوء تفاهم منتشر بين أم كلثوم من ناحية وبين جزء من
جمهورها من ناحية أخرى . نتيجة غير مقصودة لطبيعة العلاقة
بين الاثنين المشكلة - فى رأى - هى أن الجمهور « يعبد »
أم كلثوم وعندما « يعبد » أحدا فاننا نضعه على مسافة بعيدة
منا اننا نحيطه بهالة تختلط فيها حقائق قليلة بخيال كثير
انه دائما يلبس « أغلى » ويتكلم « أحسن » ويتصرف بلباقة « أكثر »
انه معفى من الانفعال ومستثنى من الخطأ
وهذا هو وجه الخطأ !!

لقد سألتنى فتاة مرة هل تعتقد أن أم كلثوم مثل أى واحدة
فيها تحب وتكره تصيب وتخطئ تفرح وتبكي
تتفعل وتتشاءم ؟

طبعاً أم كلثوم هى هذا كله ! ان صورة أم كلثوم لن تكبر بمزيد
من الخيال بل بمزيد من الحقائق . أم كلثوم فى حياتها العادية
ليست شخصا مختلفا عن كل الاشخاص انها انسانة عادية
جدا ربما كان الخلاف فى الدرجة ، ولكنه ليس خلافا فى النوع .
خلاف يرجع الى أن عواطف الفنان دائما عواطف سكوب . عواطف
مركزة وعميقة



مسورة تحفلت بها
ام كلثوم في منزلها ..

ام كلثوم تسعد وتتالم

طبعا هي تسعد عندما تنجح في عملها . ولكنها تتالم جدا عندما ترى مريضا امامها ولا تستطيع ان تفعل له شيئا . كان لديها مرة « شغالة » تعمل في منزلها ، ثم اصببت ساقها بكسر وعلى الفور الغت كل ارتباطاتها السابقة ونزلت بالفتاة الى مستشفى الهلال بالقاهرة . وبعد ان اجري المستشفى اللازم للفتاة استعدت ام كلثوم للعودة الى منزلها تاركة الفتاة في المستشفى بناء على طلب الاطباء . في هذه اللحظة بكت الطفلة . و . . قالت لى لازم ارجع معاكى ولم استطع ان احتمل دموع الطفلة عدت بها معى وطلبت من الطبيب ان يعالجها فى المنزل ،

ام كلثوم تفرح وتبكي . لقد بكت مرة بد نجاح حفلتها بمدينة باريس سنة ١٩٦٨ . وقتها قالت « مع كل هذا النجاح الذى حققه



فنجال كهوة عل
الطريقه السودانية ،
النساء زيارة ام كلثوم
للخرطوم ..

الحفل الا ائني كنت اتمنى ان امثل بلدى هنا وهى فى ظروف
افضل مما هى اصبحت فيه بعد النكسة ،

ام كلثوم تعرف الازمات النفسية

ان اعنف ازمة مرت بها فى السنوات الاخيرة كانت قبل وبعد
علاجها من تضخم الغدة الدرقية . لقد ظلت الغدة تؤلمها لمدة ثمانى
سنوات الامر الذى هدها بالتوقف تماما عن الغناء . وعندما
ذهبت الى امركا لعلاج الغدة سنة ١٩٥٤ توفى اخوها خالد وهى
هناك يومها حرص الاطباء على عدم ابلاغها بالخبر بعد ان
علموا مدى حبها لخالد ..

وعادت ام كلثوم الى القاهرة فعلا دون ان تعلم بالخبر انها
لم تعلم الا بعد ان وصلت الى المنزل خبر سبب لها اقصى



موريس شيفالييه عندما زارام كلثوم في منزلها

درجات الألم في الواقع أن وفاة أخيها سببت لها أزمة نفسية لازمتها مدة طويلة .. خلال هذه الأزمة اعتزلت أم كلثوم الحياة تقريباً كانت تحبس نفسها في حجرة صغيرة بالمنزل دون أن تتكلم الى أحد أو تطبيق أن يتكلم اليها أحد

وبسبب هذه الازمة تدخل الاطباء

قال الاطباء انه لا أمل .. لا أمل في أن تعود أم كلثوم الى حالتها النفسية الاولى الا اذا عادت الى الغناء من جديد ،

وام كلثوم تكره

انها تكره أن يخدعها أحد انها تروى مثلاً هذه القصة « انتهيت من الغناء في إحدى الحفلات .. ثم جاء الى واحد من المعجبين الذين اعتر بهم

قال لي ايه ده انت كنت مش معقولة الليلة دي !

سألته يعني ايه ؟

قال يعني عملتى حاجات ما حصلتش قبل كده

سألته يعنى ايه ؟

قال يعنى كنت روعة كنت عظيمة كنت مبدعة
ولم افعل شيئاً غير اننى شتمته !

لقد فعلت ذلك لاننى فى تلك الليلة بالذات لم أغن كما يجب
ان أغنى كانت أعصابى متوترة وحالتى النفسية سيئة ..

فلم أستطع أن أكون فى مستوى العادى ولهذا كرهت من
هذا المستمع نفاقه واحدة من اثنين أما أنه لا يفهم ، وأنا
لا أحب أن يسمعنى من لا يفهم وأما أنه يفهم ولكنه يناقضى .
وأنا أكره من يناقضى لأنه لن ينيهنى الى عيوبى ، !

وأم كلثوم تضحك !

ان خفة دمها هنا قد تتركز فى موقف ، أو صدفه ، أو قفشة .

دخل اليها فى البيت مرة زميل صحفى زميل قصير القامة
وصافحته أم كلثوم واقفة وهى تقول له أظن انت الواحد يقعد لك .

وكان الموسيقار محمد القصبجى مشهورا عنه بأنه يصبغ شعر
رأسه وسوالفه حتى يبدو أسود اللون دائما ولكن أم كلثوم
قالت له فى البيت مرة كفاية باه يا محمد دى بقت ختامة !

وفى مرة أخرى كان محمد القصبجى مسافرا معها فى القطار .
ثم تذكر فجأة أنه نسى أن يصبغ شاربه فأخرج قلما أسود من
جيبه وبدأ يصبغ شاربه . حينئذ أشارت اليه أم كلثوم ضاحكة
شوفوا الرجل رجع شاب « بجرة قلم » !!

وفى مرة علقت لى على مقال نشر عنها فى مجلة أسبوعية
مقال كتب بلغة صعبة للغاية وعندما قالت لى أم كلثوم ان
المقال لم يعجبها سألتها عن السبب فقالت لأن كل كلمة فيه
لابسة عمة !!

★ ★ ★

وأم كلثوم تحب

ولكن حبها من النوع التفصيلى، المجدد انها تحب بيت شعر،
أو صورة ، أو موقفا ، أو نكتة .. بالذات ، وبالتحديد وعندما
تتذكر شيئا فانها تتذكر هذا البيت هذا الموقف ، هذه الصورة،
هذا الطفل .. الطفل الذى يملأ بيت أم كلثوم بشقاوته هو عادل :

وعن عادل تقول أم كلثوم « ان عادل هو اشقى اطفال الاسرة كلها ومع ذلك فمئذ اليوم الذى ولدته فيه بنت عمى وانا احبه جدا لقد جاءت به بنت عمى منذ أربع سنوات ونصف سنة وهو رضيع لكى ابحت لها عن طبيب يعالجه من لين العظام ثم اقتضى علاجه ان يبقى فى هذا المنزل بعدها طلبت من أمه ان تقيم معه هنا انه الآن فى مدرسة الحضانة وعمره لا يزيد على خمس سنوات ومع ذلك فانه فى غاية الذكاء وسرعة البديهة .. أحيانا أتصور انه يملك عقل رجل فى جسم طفل ،

وحتى الصورة التى تحبها أم كلثوم فى اليومها هى صورة طفلة تقبلها اثناء زيارتها للسودان فى الواقع انك سوف تجد مثل هذه الصورة منشورة بعد كل حفلة لأم كلثوم صورة طفلة صغيرة تقبلها أم كلثوم

أكبر طفلة فى منزل أم كلثوم اسمها نعمات انها بنت ابن اخ أم كلثوم لقد انفصل أبواها بالطلاق منذ سنوات . ثم تزوج والدتها وتزوج أبوها بقيت الفتاة الصغيرة - وعمرها تسع سنوات - أخذتها أم كلثوم لتربيتها فى منزلها ولم تكن الفتاة قد دخلت مدرسة ولا حتى ذهبت الى كتاب وعندما بدأت نعمات تستقر فى منزل أم كلثوم أحضرت لها مدرسا خصوصيا استمر يعلمها ثمانية شهور انها فتاة ذكية . لذلك نجحت بتفوق عندما أدت الامتحان فى مقرر ثلاث سنوات دفعة واحدة . انها الآن فى السنة الثانية بالمرحلة الاعدادية ، وهى باستمرار تتفوق فى مدرستها بالذات فى اللغتين العربية والانجليزية . ان أم كلثوم تحب نعمات مثلما احبت عادل من قبل

ولقد سألت أم كلثوم مرة هل تعتقدين ان الزوج والزوجة هما الطرفان الوحيدان فى الاسرة ؟

قالت أم كلثوم الزوج والزوجة هما الطرفان الاساسيان فى الحياة العائلية ، ولكنهما ليسا الطرفين الوحيدين طبعا هناك أطراف أخرى ، منها وجود الاطفال مثلا ، ولعل هذا ما تقصده ..

وقلت بسرعة صحيح صحيح هذا بالضبط ما أقصده ولعلنى أستطيع هنا ان أسألك فى موضوعات لم يسبق لك التحدث فيها مطلقا من قبل مثلا ألم يؤد عدم انجابك لأطفال الى اضعاف حياتك الزوجية ؟

وام كلثوم ترد • ليست الفنانة ، وانما ام كلثوم الانسانة تقول
» ابدأ ، ابدأ ابدأ بل ان هذا السبب نفسه جعل مشاعري
نحو الاطفال وحبي لهم يكبر ويتضاعف • ان اسرتى كلها تعلم
مدى شعورى نحو اطفالهم وتعلقى بهم وتعلقهم بى ان ام
شيء اشتريته من السودان مثلا فى زيارتى الاخيرة كان نسناسا
صغيرا • نسناسا حقيقيا لقد فرح به الاطفال جدا وفرحت
انا لفرحتهم لانه لا يوجد فى الدنيا كلها ما يساوى ابتسامة
طفل وسعادة طفل ولا يوجد اشقى ولا اسوأ من تعاسة طفل
ودمعة طفل »

عند هذه الكلمة من ام كلثوم فقد قلمى النطق

فى الواقع انا اعلم كم هى صابقة فى هذه الكلمات ومن
يدرى لعل هذه المشاعر هى تعويض عن عاطفة أساسية اختفت
من حياة ام كلثوم الانسانة

ان ام كلثوم فشلت من قبل فى ان تكون ست بيت وفشلت
فى ان تكون ملحنة

ولكن فشلها الكبير حكم قدرى

لقد فشلت فى أبسط ما يدل عليه اسمها ان ام كلثوم
لا تستطيع ان تكون اما





أم كلثوم بين أحمد رامى ونبيا طي وعبدالوهاب!

« انها المطربة الموهوبة التي اثبتت
ان الغناء فن رؤوس وقلوب » ..
عباس محمود العقاد

ليس صحيحا أن أغنية « أنت عمرى » كانت أول لقاء فنى
بين أم كلثوم وعبد الوهاب !

لقد أنيحت الاغنية فى ٦ مارس ١٩٦٤

ولكن أم كلثوم وعبد الوهاب غنيا معا قبل هذه الاغنية بـ ٣٧
سنة .

بل ان محمد عبد الوهاب لحن أغنية أخرى غنتها أم كلثوم
قبل « أنت عمرى » بعشرين سنة !
لقد غنيا معا فى سنة ١٩٢٧

كان أول لقاء بين المطربة « زائفة الحب » أم كلثوم وبين
المطرب « الشاب » محمد عبد الوهاب .

تم اللقاء فى منزل والد المهندس أبو بكر خيرت ان صاحب
المنزل كان من هواة الموسيقى والغناء . وكان بيته مقرا دائما
لنغوات أهل الفن وسهراتهم .

وفى إحدى تلك السهرات تصادف وجود أم كلثوم ومحمد
عبد الوهاب .

و غنيا معا !

غنيا مونولوجا - مشهورا وقتها - من أوبريت «العشرة الطيبة»
التي وضع الحانها سيد درويش وكان المونولوج من كلمات
بديع خيرى تقول الكلمات :

على قد الليل ما يطول

مسترضى بسهرى ونوحى

وفى حبك يالى

ام كلثوم مع دهاض السباعى ، فى بروقة لافنتها الاخيرة التى لحنها لها





فريد الأطرش ، في
حمة منه ومحنة من
أم كلثوم

من أول ما أشوفك

تقرّد روحى

والمثولوج عبارة عن مناجاة غنائية بين فتى وفتاة

وقد تبادلت أم كلثوم الغناء فيه مع عبد الوهاب وسمعتها
ليلتها عدد كبير من أهل الفن ومن بينهم حسن أنور وكيـل
معهد الموسيقى وقتها ومصطفى رضا .

وحاول الحاضرون تحويل هذه المحاولة الى عمل مشترك يستمع
اليه الجمهور ..

ولكن المحاولة لم تنجح

★ ★ ★

وفى سنة ١٩٤٤ غنت أم كلثوم من تأحين عبد الوهاب !

لقد تمت هذه المحاولة فى سهرة ضمت ترفيق الحكيم وفكرى

اباطة والدكتور عبد الوهاب مورو وكامل الشناوى والمثلة
- وقتها - كاميليا - ثم ٠٠ ام كلثوم وعبد الوهاب .

وفى السهرة سالت ام كلثوم كامل الشناوى ألم تحرك فيك
كاميليا ، موهبة الشعر ؟

ورد كامل الشناوى بقصيدة يقول فيها

لست أقوى على هراك ومالى

أمل فيك فارفقى بخيالى

ان بعض الجمال يذهل قلبى

عن ضلوعى فكيف كل الجمال

ليلتها قالت ام كلثوم انها مستعدة لغناء القصيدة لو لحنها
عبد الوهاب وبالفعل ٠٠ أمسك عبد الوهاب بالعود ، ولحن
الكلمات ٠٠ التى ظلت ام كلثوم تغنيها - بناء على طلب
الحاضرين - حتى الصباح !

★ ★ ★

مرة أخرى لم تخرج هذه المحاولة الى الضوء

ولم تتم ايضا محاولات أخرى بذلها عدد من اصدقاء الطرفين
من الصحفيين ، على ان تصريحاتهما الصحفية كانت تفيض
بمشاعر المجاملة والتعظيم الطيبة .

كانت ام كلثوم تقول ان عبد الوهاب يكتفى بان يلحن لى على
صفحات الجرائد ٠٠

وكان عبد الوهاب يقول اننى اعتقد ان ام كلثوم لاتريد ان
الحن لها .

لم يكن ايهما يثق فى الآخر بما يكفى بعد لانتاج عمل غنائى
مشترك

لماذا ٩٠٠

فى الواقع توجد تفسيرات كثيرة لذلك ولكن التفسير الوحيد
المقبول هو تفسير بسيط هذا هو ان عبد الوهاب - فى
مرحلته الفنية الاولى - كان فى الدرجة الاولى مطرب ٠٠ وفى
الدرجة الثانية ملحن كان عبد الوهاب ملحننا خصوصيا لعبد
الوهاب انه بالطبع - سيحتجز احسن الحاله لنفسه !



ام كلثوم ، بين
القصبى وعبد صالح

وفى نفس الوقت كانت أم كلثوم مطربة هى تغنى للجمهور،
وعبدالوهاب يغنى للجمهور . هى تقف على المسرح وهو أيضا
يقف على المسرح الخ

وعلى ذلك فمن المتصور أن يوجد بينهما شعور بالمنافسة
أحيانا منافسة حادة - وهى فى كثير من الاحيان منافسة يغذيها
وينميتها كثير من المحيطين بالطرفين



ثم تغير الحال

تراجعت مقدرة عبدالوهاب الاولى كمطرب الى الدرجة الثانية،
وحلت محلها قدرته كملحن مرحلة أخرى دخلها عبد الوهاب
والملحن - أى ملحن - عندما تصبح أصوات الآخرين هى وسيلته
الوحيدة للوصول الى الجماهير . فانه يبدأ فى التفكير بطريقة
مختلفة

ان الشعور بالمنافسة لن يمنعه الآن ولكن الشعور بالتكامل
هو الذى يدفعه

وبالنسبة لأى ملحن - فما بالك بعبد الوهاب ؟ - لا يوجد
صوت أكثر اغراء من صوت أم كلثوم لا توجد وسيلة أخرى
أكثر ضمانا للوصول الى قلوب الجماهير

من هنا بدأت طبيعة العلاقة الفنية بين أم كلثوم وعبد الوهاب
تتغير .

ولكن العلاقة - حتى سنة ١٩٦٢ - لم تكن قد تغيرت بعد بما
يسمح بتعاونهما معا . ان آثار سنين طويلة مضت لم تكن
قد زالت تماما بعد

★ ★ ★

ثم تغير الحال مرة أخرى فى يوليو سنة ١٩٦٢

فى احتفال ٢٢ يوليو من تلك السنة أقام نادى الضباط حفلة
ساهرة حضرها الرئيس جمال عبد الناصر وكانت أم كلثوم
وعبد الوهاب من بين المشتركين فى الحفل

وفى الاستراحة دعاهما الرئيس جمال عبد الناصر الى تناول
العشاء على مائدته

وقال جمال عبد الناصر لأم كلثوم وعبد الوهاب أين الاغنية
التي نقرأ فى الصحف ان أم كلثوم ستغنيها ويلحنها عبد الوهاب؟
الم يحن الوقت بعد لكى تتحول الاغنية من كلام تكتبه الصحف
الى كلام يغنيه الناس ؟!

ان جمال عبد الناصر لخص فى سطرين أمنية عاشها الجمهور
أربعين سنة !

وخلال اسابيع قليلة كان العمل قد بدأ فى الاغنية الجديدة
كلمات اختارها عبد الوهاب أصلا لكى يغنيها هو ولكنه
عندما بدأ يلحنها اكتشف ان « اللحن لن يستطيع التعبير عنه
غير أم كلثوم »

واتصل عبد الوهاب بأم كلثوم فقالت لا مانع تعال نبحت
الأمر معا

ثم خرجت أغنية « انت عمرى » الى الناس خرجت
كبداية فى تعاون مشترك من يومها بين أم كلثوم وعبد الوهاب .

★ ★ ★

والواقع ان الحان عبد الوهاب لأم كلثوم تمثل مرحلة مختلفة
فى تاريخها الفنى . ان عبد الوهاب نقل مستوى منافسة الملحنين

على صوت أم كلثوم الى نقطة أكثر ارتفاعا بل ان عبد الوهاب كان حريصا على أن يجعل المقدمات الموسيقية لأغاني أم كلثوم كعنوان الكتاب ، كخطاب العرش فى خطاب العرش يتعهد رئيس الوزراء أمام الملك بأن حكومته ستعمل كذا وكذا وأنه يعطى هذه الوعود بعد أن يهاجم كل الحكومات السابقة انه خطاب مليء بالوعود والآمال . ومقدمات عبد الوهاب الموسيقية فى أغاني أم كلثوم هى أيضا جدول أعمال قائمة وعود موسيقية طويلة !

ولقد قال لى عبد الوهاب أكثر من مرة « ان صوت أم كلثوم يتميز بأن قماشه عريض . ان فيه جمال القوة وحلاوة الفقرة ورقة الجمال »

وعندما سألت أم كلثوم عن تعليقها قالت هذا رأى عبد الوهاب - يعنى ايه ؟

- يعنى رأى عبد الوهاب !

- أنا عايز رأيك انت فى رأى عبد الوهاب

- لا أحب أن أتكلم عن نفسى ان نفسى « هى أبغض كلمة الى نفسى ! »



وعبد الوهاب يرى أيضا أن « لأم كلثوم فضلين فضلا كمغنية اذ أنها جمعت من مواهب المطرب كل ما يمكن للطاقة البشرية أن تجمعها . فضلا آخر كمساهمة بعقلها فى رفع مستوى كلمات الاغاني فى مصر والشرق فلولا عقليتها الواعية لما استطاعت أن تحتضن مثلا الشاعر أحمد رامى ، وأن تجعله يتعاون معها ويوجد بالمعانى الرائعة التى تؤديها أم كلثوم أحسن أداء »

وبينما نجد أن محمد عبد الوهاب هو أحدث ملحن تعاونت معه أم كلثوم . فان أحمد رامى كان أول شاعر تعاون معها فى تاريخ مبكر من حياتها الفنية

لقد غنت أم كلثوم لأحمد رامى قبل أن تراه

ان أحمد رامى سافر الى باريس فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ موفدا فى بعثة دراسية من دار الكتب المصرية .



ام كلثوم تقى نعت سطح اليوم

وقبل سفره أعطى لصديقه الشيخ أبو العلا محمد قصيدة تقول

الصب تفضحه عيونه وتنم عن وجد شئونه
انا تكتمنا الهوى والداء أقتله دفينه
يهتاجنا نوح الحمى م وكم يحركنا أنينه

وعاد رامى من باريس سنة ١٩٢٤ ليجد أن قصيدته قد تحولت
الى أغنية مشهورة لحنها الشيخ أبو العلا . أغنية تغنيها أم كلثوم

ولم تكن أم كلثوم قد أقامت فى القاهرة بعد كانت تأتي الى
القاهرة للغناء فقط ثم تعود الى قريتها أو تغنى فى مدن أخرى .

وظل رامى ثلاثة أيام يسأل عن ميعاد أول حفل تغنى فيه
أم كلثوم

ان أحمد رامى قد بنى تاريخ ميلاده ولكنه لا بنى تاريخ
أول لقاء له مع أم كلثوم

٢٤ يوليو سنة ١٩٢٤

فى تلك الليلة اشترى الشاعر الشاب - الموظف بدار الكتب -
أحمد رامى تذكرة بخمسة قروش دخل بها صالة سانتي فى
حديقة الأزبكية حيث بدأت أم كلثوم تغنى

ويقول رامى «كنت نواظرا الى أن أسمع أم كلثوم وهى تغنى
قصيدتى انها لا تعرفنى بعد . ومع ذلك قمت فى استصياء
أقول لها كأنها تعرفنى / rrone

- أنا بقالى سنتين بعيد عن مصر . . ونفسى اسمع قصيدتى !

وبسرعة يديه ردت أم كلثوم ضاحكة أهلا سى رامى
حمد الله ع السلامة حاضر !

وعندما بدأت أم كلثوم تغنى أصبحت أنا فى عالم آخر . .
سحرنى الصوت . سحرنى جماله سحرنى قوته ولم أفق
الا على صوت صديق لى يقول لى بعد الغناء أم كلثوم مسافرة
بكره تغنى فى رأس البر . . مش تسلم عليها ؟!

وذهبت لأشكرها وأتمنى لها السلامة

ثم بقيت طوال الاربعين يوما التالية لا أستطيع سماع صوت آخر
يفغى . الى أن عادت أم كلثوم مرة أخرى لتحى ليلة فى كازينو
البوسفور

مرة أخرى جلست صامتاً فى مقعدى كالسحور

ولكن فى هذه المرة عبرت عن شعورى فى قصيدة كتبتها عن
صوت أم كلثوم أقول فيها

صوتك هاج الجوى فى مسمعى	وأرسل الكنون من أدمعى
فيه صبابتى وفيه الضنى	يشكو تباريح فؤادى معى
نظمت أشعارى وغنيتها	منظومة الحباب من أدمعى
كانما لفظك فى شدوه	منحدر من دمعى الطبيع

ولم تسمع أم كلثوم هذه القصيدة الا عندما زرتها لأول مرة
فى شهر أكتوبر من تلك السنة يومها هوجئت بطلب غريب من
أم كلثوم

قالت لى اريد منك ان تنظم لى أغنية زجلية !

وتوقف لسانى عن النطق ! هذا طلب لا أستطيعه ولا أقبله !
اننى حتى تلك اللحظة لم أكن قد نظمت شطراً واحداً من الزجل
وحتى تلك اللحظة كنت قد أصدرت ثلاثة دواوين من الشعر ونشرت
ترجمة لرباعيات الخيام عن الفارسية لا لا لن أكتب زجلاً !

ولكن أم كلثوم استمرت فى الحديث قالت اننى غنيت لك
من قبل قصيدة : « الصب تفضحه عيونه » وأنا أرى أن من
حق الغناء أن يظفر بخيال الشعراء فى أسلوب يفهمه العامة حل
وسط والا .. هل يعجبك مستوى الاغانى التى تغنى فى هذه
الايام ؟!

عند هذه النقطة اقتنعت وافقت على أن أكتب الزجل لأول
مرة لهذا كتبت لها « خايف يكون حبك ليه شفقة عليه ..
وانتى اللى فى الدنيا ليه حى عنية »

ثم استمرت فى كتاباتى لأم كلثوم . شعر مرة وزجل مرة .
بعدها غنت لى أم كلثوم « يا غائباً عن عيونى وحاضراً فى فؤادى »
- « أيها الفلك على وشك الرحيل » - « يا نسيم الفجر ريان الندى »
الى أن غنت لى : « ان كنت أسامع وانسى الاسية » . وهى الاغنية
التي مثلت فى وقتها طفرة غنائية .

★ ★ ★

انتهت ذكريات رامى ولكن علاقته الفنية بأم كلثوم لم تنته .
فلقد غنت له أم كلثوم أكثر من مائتين وخمسين قطعة غنائية من



محمد عبد الوهاب
يتأمل ، وأم كلثوم
تتكلم ، أثناء بروقات
الغنية (مرت الايام)

بينهما « رق الحبيب ، و « ياما امر الفراق » ، « ياظالمنى ،
و «سهران لوحدى» و «رباعيات الخيام» و «أنت الحب» ، الخ .
ولكن رامى - فوق علاقته بأم كلثوم كشاعر له علاقة أخرى
بها كمستمع .

فعند استمع اليها لأول مرة سنة ١٩٢٤ لم تفته أى حفلة من
حفلاتها الغنائية . لقد أصبح حريصا على أن يكون « مستمعها
الأول » ، هذا تعبير رامى .

وعندما كانت أم كلثوم تغنى فى الاقاليم لم يكن غناؤها ينتهى
قبل الثانية صباحا فكان رامى يخرج من الحفلة جريا الى

محطة السكة الحديد حتى يلحق بقطار الصحف ويعود الى عمله بالقاهرة فى الصباح الباكر .

وحينما بدأت أم كلثوم تسجل للاذاعة فى الثلاثينات كانت تأخذه لكى يستمع اليها أثناء التسجيل فى الاستوديو ، بشرط أن يجلس صامتا تماما . كانت أم كلثوم تفعل ذلك حتى يكون رامى أمامها رمزا للجمهور فى خيالها ، جمهور ضامت .

وكان رامى - طوال عمله بدار الكتب - يستعير لأم كلثوم من الدار كل دواوين الشعر العربى القديم وكتب الأدب . ثم يناقشها معا وقد أشارت أم كلثوم لمجهود رامى هذا فى مكان آخر

أما أحمد رامى فيقول « اننى مدين لأم كلثوم بنشر شعرى إن أقصى رقم وزع من أى ديوان طبعته كان خمسة آلاف نسخة ولكننى أصبحت معروفا للملايين من خلال صوت أم كلثوم ان اسطوانة (ان كنت أسامح) مثلا وزعت أكثر من نصف مليون نسخة » !

ويقول رامى أيضا اننى كنت أستفيد كثيرا من التعديلات التى تطلبها أم كلثوم فيما أكتبه « فى أغنية « دليلى اختار » مثلا ، طلبت أم كلثوم تكرار جزء من المطلع يقول وبين قربك وخوفى عليك .. دليلى اختار .. وحيرنى .

وفى أغنية « قصة حب » كنت قد كتبت بيتا أقول فيه

عشت فيها بيقينى ثم عاشت فى ظنونى

ولكن أم كلثوم قالت ان هذا البيت فيه فجوة وانه يحسن أن أوضح كيف عشت فى ذكرياتى بيقينى ثم كيف عاشت هذه الذكريات فى ظنونى

ولذلك أعدت كتابة البيت فأصبح كما يعرفه الناس الآن

عشت فيها بيقينى وهى قرب ووصال

ثم عاشت فى ظنونى وهى وهم وخيال

والواقع ان رامى معه الحق فى نقطتين بالذات

★ ان أم كلثوم نشرت بغنائها الذوق الرفيع فى اللغة

★ ان شخصية أم كلثوم تمتد الى الكلمات التى تغنيها



زكريا احمد يستمع
من وراء الكواليس لآخر
الغنية لعنها لام كلثوم

لقد لخص عباس محمود العقاد هاتين النقطتين عند ما كتب يقول عن أم كلثوم «... أنها المطربة الموهوبة التي أثبتت أن الفناء قن رؤوس وقلوب وليس بفن حناجر وأفواه فحسب فهي تفهم ماتغنيه وتشعر بما تغنيه وتعطيه من عندها نصيبا وافيا الى جانب نصيب المؤلف ونصيب الملحن » ..

واستطيع أن أقول كلمات العقاد بطريقة أخرى أن أغاني أم كلثوم هي الصدى الصوتي لأم كلثوم أما الكلمات - كلمات الاغاني - فهي الصدى العقلي لأم كلثوم

لقد غنت أم كلثوم للحنين كثيرين الشيخ أبو العلا - داود حسنى - فريد غصن - أحمد صبرى - محمد القصبجى - زكريا

أحمد - السنباطي - عبد الوهاب - بليغ حمدي - محمد
الوجي - الطويل

وغنت لشعراء كثيرين أحمد شوقي - حافظ إبراهيم -
رامي - بيرم التونسي - إبراهيم ناجي - أحمد شفيق كامل - مرسى
جميز - عزيز - عبد الوهاب محمد - جورج جرداق الخ .

وفي كل مرة كان عقل أم كلثوم يتحول الى معمل الى جهاز
يقارن ، يختار يعدل يضيف ، يحذف ، يقرر

لقد عدلت مثلاً في كلمات الشاعر أحمد شوقي قصيدة « الى
عرعات الله » مثلاً يقول المطلع الأصلي عليك صلاة الله يا ابن
محمد الاشارة هنا الى الخديو ولكنها غنته عليك سلام الله
يا خير زائر . وفي نفس القصيدة اصطلت بكلمة « العرصات »
كلمة قد يستهجنها البعض فاستبدلتها بكلمة « الشرفات »

وفي قصيدة ابراهيم ناجي « الاطلال » اضافت الى القصيدة
الاصلية هاتين الشطرتين

هل راي الحب سكارى مثلنا كم بنينا من خيال حولنا
ثم هذا البيت

وانتبهنا بعد مازال الرحيق وافقنا ليت انا لانفيق

لقد كتب الشاعر هذين البيتين أصلاً في قصيدة أخرى بعنوان
« الوداع » ولكن أم كلثوم اضافتهما الى قصيدة « الاطلال » ،
وبطريقة لا تستطيع اكتشافها من أول مرة
ان الامثلة كثيرة

والهم ليس هذا التعديل المهم أن يكون التعديل الى احسن .
الى ارق ..

ان أم كلثوم في حرصها على تعديل - ثم اعادة تعديل - الكلمات
قبل أن تغنيها انما تضع ايدينا على مفتاح آخر لفهمها جانب
آخر من شخصيتها الغنائية جانب لم يكتشفه حتى الآن غير عدد
قليل من الذين عملوا معها

ان ما تبحث عنه أم كلثوم هو الشيء الجديد تبحث عن فكرة
معنى تعبير جملة ، أو - حتى - كلمة ؟ انها تفعل ذلك نيابة
عن مستمعيها صفة ضرورية جداً لكل مطرب يريد النجاح
أو الاستمرار في النجاح

أم كلثوم يعجبها مثلاً تعبير تقول فيه « بافكر فيك .. وانا ناسي »



أحمد رامي
السمع الأول

أو « عزة جمالك فين .. من غير ذليل يهواك » أو « واحشني
وانت قصادي عيني » أو « أغمض عينيك حتى تراني » تعجبها أغنية
تتلاعب فيها بكلمات تقول « يسقيننا الهنا .. ويقول بالهنا أو
« ياما عيون شاغلوني .. لكن ولا شغلوني » ..

تعجبها صورة دقيقة الظلال يرسمها الشاعر بقوله

ما بين بعدك وشوقي اليك
وبين قربك وخوفي عليك
يليلي احتار .. وحيرني

تعجبها صورة تركّز صراعا نفسيا حادا في أربع كلمات تقول
« غلبت اصالح في روجي » أو في خمس كلمات تقول « اكاد اشك
فيك وانت مني » ..

أم كلثوم تحب أن تتذوق التعبيرات القوية المركزة تعبيرات
مثل « ظالم الحسن » أو « هل رأي الحب سكارى مثلنا » أو

الفوانى جمرات فى دمي » تعبيرات تصور نفس المعنى بأسلوب مختلف . مرة بقولها « أنت أقرب منى ليه .. حتى وانت بعيد عليه » ، ثم مرة أخرى « وانت معايا يصعب عليه .. رمشة عينيه ولا حتى ثانيه » ..

لهذا السبب أقول ان مفتاح الشاعر الى صوت أم كلثوم هو عقلها والمفتاح الى عقلها هو الكلمة الجديدة .. الجملة الجديدة الصورة الجديدة مسألة عبر عنها اذكى صديق لأم كلثوم بقوله لو كنت شاعرا لكتبت ديوانى على شفتى أم كلثوم « سوء حظ ، فالكاتب هنا ليس شاعرا ومع ذلك فهذا أجمل تعبير قراته للكاتب عن أم كلثوم

والواقع ان محاولة أم كلثوم للتذوق لا تقتصر على الكلمات التى تغنيها فقط ، وانما تمتد الى اللحن أيضا وان زكريا أحمد - الفنان الموهوب الراحل - عندما عبر عن ذلك فى مذكراته كتب يقول ان أم كلثوم « .. عندما تجلس الى ملحن أغانيها أو يجلس اليها لا تكفى بأن يقدم لها لحنا واحدا أو اثنين أو ثلاثة وانما هى تريد أكثر من ذلك وقد تطلب من الملحن ان يلحن الكوبليه الواحد مرات متعددة وتنتظر بعدم قبول هذه الألحان .. وتنتظر بعد أن تختار واحدا من الألحان المقدمة بنسيان ما قدم للأغنية الواحدة من الحان وتجدد فى معظم الأغاني بالحن جديدة تبدو للمستمع الجديد أنها وليدة الساعة .. وان كانت مخزونة فى أعماق ذاكرتها من بعيد »

مرة أخرى يكتب زكريا أحمد قائلا « وذات مرة قدمت لها أغنية بثمانية الحان مختلفة ، لأتيح لها فرصة الاختيار فى الوقت المناسب أو فى الاوقات المناسبة .. اننى اعتبر أن أم كلثوم (أوسطى) من خيرة (أسطوات) الفن .. وصائفة من أمهر صائفات الغناء .. ولهذا فقد اختصصتها بأكثر من ستين لحنا ليس فيها لحن يشبه الآخر فى تلحينه » ..

والواقع أن زكريا أحمد لحن لأم كلثوم عددا من أروع وأحب أغانيها عند الناس لحن لها « أنا فى انتظارك » و « أهل الهوى » و « الأمل » و « غلبت أصالح فى روحى » و « الآهات » و « هو صحيح الهوى غلاب » و « رقى الحبيب » .. الخ

وخلال أحاديث طويلة متعددة لمست من أم كلثوم وفاء بالغا لعدد من الذين صاحبوها فى حياتها الغنائية من بينهم - بل



ام كلثوم مع فرقتها في بروفة قبل الحفلة

على رأسهم - زكريا أحمد شعور قباده زكريا أحمد معها منذ
أول لحنين قدمها لها في سنة ١٩٢٥ ومما « اللي حبك ياهناه »
من تأليف أحمد رامى و « هو ده يخلص من الله » تأليف بديع
خيرى ..

من هذا اليوم - يقول زكريا أحمد في مذكراته - أصبحنا
« القصيجى وداود حسنى وأنا نلحن لها حتى قدم لها مسيو
بارو مدير شركة أوديون الاستاذ رياض السنباطى - ومنذ هذا
اليوم أصبح ملحنو ام كلثوم هم السنباطى والقصيجى وأنا »

السنباطى ١٩٠٠

نعم هذا هو الاسم الذى كتبه زكريا أحمد ان هذا الاسم
مضلل انه لا يدل بأى حال على كل الرقة ، كل الجمال ، الذى
تعبّر عنه الحان السنباطى لام كلثوم ، ان ام كلثوم تؤمن بالتخصص
ويبدو ان هذا هو السبب فى أنها تسند الى السنباطى القصائد
الصعبة - أحيانا الصعبة جدا - لكى يقوم بتلحينها

لقد التقت ام كلثوم بالسنباطى وهى صغيرة ، فى الواقع أنها
كانت ليلة ممطرة على محطة سكك حديد الدلتا فى قرية قرين

بالدقهلية كانت أم كلثوم مازال فتاة صغيرة تضع العقال فوق رأسها . وفى تلك الليلة وقفت بين أبيها وشقيقها وقدم والد رياض السنباطى وبرفقته ابنه رياض ، ان الابوين الشيخين كانا يتحدثان معا عن الرزق ، فالغناء هو ميدان عمل كل منهما . بعد تلك الليلة لم يلتق السنباطى بأم كلثوم الا بعد سنوات عديدة فى شركة كايروفون حيث كان السنباطى قد أصبح يعمل مدرسا بمعهد الموسيقى العربية . وأم كلثوم نجمة مشهورة فى المنطقة بأسرها ، من هذا اللقاء بدأت الحان السنباطى لام كلثوم واستمرت حتى الآن ، الحان تتفوق على نفسها . خذ مثلا لحن « الاطلال » أو « دليلى احتار » أو « هلت ليالى القمر » أو « يالى كان يشجيك اتينى » أو « رباعيات الخيام » أو « هجرتك » خذ أيضا أغنية « يا ظالمنى » وقصيدة « ولد الهدى » وأغنية « لسة فاكرك » و « أروح لىن » و « سهران » . تصور ان السنباطى وضع لحن أغنية « سهران » فى سنة كاملة ! هذا هو السنباطى . لحن واحد كل سنة !

بعد أن يضع السنباطى اللحن تبدأ جلساته مع أم كلثوم هذه كلماته هو « أحيانا نجلس فى حجرتها المزجاجية اذا كنا فى الشتاء نهارا كاملا بلا طعام بلا ماء بلا تليفون ، بلا زوار . ان أم كلثوم تستغرق الوقت كله فى اجراء بروفة على كوبليه واحد فقط ، فأم كلثوم لا تغنى اللحن العادى أو الكلام العادى . فاللحن الذى يوضع لام كلثوم أشبه ببناء السد العالى وتمر الايام على هذا المنوال اسابيع ثم شهورا نضع فيها لحنا يخرج الى الجماهير فتلقاه بالحب والاعجاب » .

ان أم كلثوم تسمى السنباطى بالعبرى وفى أكثر من مرة كنت ألس منها تسأولها عن السبب فى أن الصحف لاتعطى للسنباطى حقه من التقدير كما تعطى لغيره مازال التساؤل قائما

★ ★ ★

ان محمد القصبجى وزكريا أحمد ، ان عبد الوهاب والسنباطى ، أحمد شوقى واحد رامى ، ابراهيم ناجى وأحمد شفيق كامل ، بيرم التونسي ومأمون الشناوى . كل هؤلاء – وغيرهم كثيرون – انما يضعون أيدينا فى النهاية على عدة ملاحظات تتعلق بهذا الجانب من شخصية أم كلثوم .

● **قاولا :** ان كل لحن ، كل قصيدة تغنيها أم كلثوم هي في الواقع قطعة من نسيج طويل متصل الخيوط نسيج يمثل صدى افكار ومشاعر أم كلثوم نفسها انه صدى انه صورة انه اختيار انه تعبير من وعن شخصية أم كلثوم نفسها

● **وثانيا** انك لا تستطيع ان تقارن بين ملحن وملحن - بين شاعر وشاعر فبينما تغنيه أم كلثوم لكل منهما لا تستطيع لان المقارنات هنا - برغم فائدتها أحيانا - تصبح مضللة

● **وأخيرا** فان دراسة عدد من الملحنين والشعراء الذين تعاونوا مع أم كلثوم ٠٠ مازال أمرا هاما بالنسبة لدراسة أم كلثوم نفسها دراسة تمثل في النهاية بابا خلفيا للشخصية التي تجمع بين هؤلاء جميعا أم كلثوم





أم كلثوم بين الفن والياسة !

ان ام كلثوم غنت واحبت فاستمرت
في سنوات لا يستمر فيها احد !!

لكى نحب بلدنا يجب أولا ان تحبنا بلدنا حب بغير شروط بغير تحفظات تماما كحب الأم لطفلها ان الأم لا تحب طفلها عندما يكون هادئا ، وتكرهه عندما يكون شقيا لا تطعمه عندما يطيعها وتجيعه عندما يخالفها لا .. الأم تحب طفلها فى كل لحظة كل ساعة كل سن . انها تحبه - ليس لانه حقق لها رغباتها - ولكن لمجرد انه طفلها هذا يكفى انها لا تستغل حاجته اليها . لا تستغل سلطتها عليه . انها لا ترهبه . لا تخيفه ولكنها تغريه تشجعه تدفعه انها تقدم له حبها بغير ثمن . وبدون مقابل .. بلا تعويض انها تعطيه حبها خالصا .. على بياض .

و

لقد اعطت بلدنا - امنا - حبها لام كلثوم على بياض بلا تحفظات هذا واحد من الامثلة القليلة النادرة فى حياتنا العامة استثناء . لقد تصرفت الأم هنا بحكمة . احبت طفلتها بلا حدود فكانت النتيجة ان الطفلة احبت أمها والفنانة احبت جمهورها و أم كلثوم احبت بلدها حبا بغير حدود . وخلال سنتين اثنتين دارت أم كلثوم حول الكرة الارضية مرتين! من باريس الى المغرب من تونس الى لبنان من السودان الى ليبيا . من الكويت الى طنطا من المنصورة الى دمنهور . من الاسكندرية الى القاهرة

وفى كل مرة كانت أم كلثوم تعود الى القاهرة كانت تعود بمبلغ ضخم فى يدها ، وحب ضخم فى قلبها لقد غنى صوتها بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ غنى صوتها .. وجمعت يدها الحصيلة . الحصيلة هى مليونان من الجنيهات قدمتهما أم كلثوم لبلدها فى سنتين تبرع اختياري . مساهمة عاجلة تبرع من الجمهور الى فنائه ومساهمة من الفنانة لبلدها



الوسام والجائزة .. تلقاها ام كلثوم من
الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في مناسبة
الاحتفال بعيد العلم سنة ١٩٦٥

MisrFone /

ولكن حب ام كلثوم لبلدها اهم من تبرع جمهورها لها . العاطفة
هنا اهم من النقود . القدوة اهم من المال

ان مصر احبت ام كلثوم بغير حدود فاحبتها ام كلثوم بغير
حدود . عرفان بالجميل . تقدير لعواطف متراكمة . وفاء
لحب سابق

انك سرف تلمس مظاهر هذا الوفاء دائما في كل حديث
لام كلثوم . عندما يهتف لها الجمهور في المغرب مثلاً فهي تقول :
» كل هذا الحب لمصر . كل هذا الهمام من أجل مصر ..
وليس من أجلى « .

قبلها تقول في باريس : « انا مجرد مواطنة مصرية . لم اعمل
شيئاً أستحق عليه كل هذا النجاح . ان بلدى هي صاحبة الفضل
الاول في نجاحى » . هكذا تقول ام كلثوم في باريس .. في
السودان .. في الكويت .. في ليبيا .. في لبنان ، في كل

بلد خارج الحدود تعبر أم كلثوم عن وفائها للحب الذى تلقته داخل الحدود . فى كل عاصمة تعلن أنها عظيمة لأن شعبها عظيم ساحرة لأن بلدها ساحر تكافح بصوتها لأن بلدها يكافح بسلاحه

عند هذه النقطة - هذه النقطة بالضبط - انتقلت أم كلثوم الى قمة أخرى . قمة ثانية من قمة الغناء الى قمة الوطنية . من قمتها كمغنية ، الى قمتها كفرد عادى . تصور ١٠٠ الفرد العادى يستطيع هو الآخر أن يكون قمة فى سلوكه فى عمله فى تصرفاته فى مساهمته لبلده

لقد فعلت أم كلثوم ذلك فى المرحلة التى لم تعد تحتاج فيها الى اثبات شيء جديد أنها تغنى وهى قمة حينما تغنى أنها فنانة وهى قمة فى فنها . هذا يكفى . لا هذا لا يكفى كما أثبتت أم كلثوم لقد تأكدت قيمتها كفنانة

بقى أن نتأكد قيمتها كفرد عادى هذا ضرورى فى فترة سوف يكون الفرد العادى هو بطلها فترة بدأت بعد نكسة يونيو ١٩٦٧

فى صراع مرير لتصحيح الهزيمة أمام اسرائيل سنة ١٩٦٧ سوف يكون الفرد العادى هو دائماً البطل هو القدوة هو النموذج انه - بعمله بإجاده لعمله بقدوته فى سلوكه - سوف يحسم فى النهاية معركة طويلة ، ويسوى حسابا مفتوحا مع اسرائيل

هنا بالضبط بدأت أم كلثوم تضرب المثل فى سلوكها كفرد عادى . لقد تراجع الفنان هنا الى الخلف وأفسح مكانه للفرد العادى تراجع صوتها الى مجرد وسيلة نحو هدف أكبر تعبئة العواطف بالتضحية وتعبئة الخزائن بالنقود وتعبئة البنادق بالرصاص .

هنا بالضبط بدأت شخصية أم كلثوم تنمو فى اتجاه جديد بدأت تنمو فى السن التى يتكور فيها الجسم ويتجمد الوجه وتتساقط الاسنان وتنطفئ الذاكرة هنا تعود أم كلثوم شابة من جديد . فى السن التى تتدهور فيها الصحة ، وينكش العقل ، وتضعف الرؤية وتتأقل الخطوات بدأت أم كلثوم تسرع خطواتها الى هدف جديد

فى السن التى يتحول فيها الماضى الى حاضر السن التى يبدأ فيها الانسان يجتر ماضيه يبدأ فى الحياة على سمعة ماضيه ، بدأت أم كلثوم تعيش على سمعة حاضرها وسمعة مستقبلها

فى هذه المرحلة هذه السن هذه الظروف بدأت أم كلثوم تصعد من جديد الى قمة جديدة قمة خالية

فى هذه المرحلة هذه الايام بدأ الجزء الفنى فى شخصية أم كلثوم يتراجع الى الخلف مفسحا مكانه الى الجزء الاساسى فى شخصيتها الجزء الوطنى

من الآن فصاعدا سوف تصبح مواطنة أولا وفنانة بعد ذلك، المواطنة تقرر والفنانة تنفذ القرار

من الآن فصاعدا سوف تغنى أم كلثوم ولكن لصالح تبرعات ازالة اثار العدوان أو لصالح تعمير مدن القناة أو لأى عمل يخفف عن بلدنا آلام الهزيمة ويساهم فى جهود النصر

من الآن فصاعدا سوف تحرص أم كلثوم على أن تكون مصرية بنسبة ١١٠٪ ، بعد أن اثبتت أنها فنانة بنسبة مائة فى المائة تثبت بعملها ما غنته من قبل بصوتها « بنى الحمى والوطن من منكمو يحبها مثلى أنا ؟ »

من الآن فصاعدا لن تكون أم كلثوم مجرد فرد مجرد جسم مجرد انسان تأكل وتنام وتغنى وتستريح البال .. لا .. انها - من هذه الدقيقة - سوف تصبح مواطنة تفكر وتحمل الهموم وتجمع القرش فوق القرش لكى يصنع بلدها الرصاصة فوق الرصاصة .

من الآن فصاعدا سوف تجمع أم كلثوم كل قرش لكى تعطيه لبلدها . ألف جنيه، عشرة آلاف جنيه مائة ألف ، نصف مليون، مليون ٢ مليون جنيه ! هذا هو الرقم الذى وصلت اليه أخيرا التبرعات والايادات التى جمعتها أم كلثوم خلال سنتين تبرعات اختيارية تبرعات قدمها الجمهور الى بلده بواسطة أم كلثوم قدمها خلال عشرين حفلة غنت له فيها أم كلثوم

والسؤال الآن لماذا ؟

لماذا كل هذا النجاح ؟

لماذا الآن لماذا بهذه السرعة بهذا الاقبال ؟

ان جزءا من الاجابة سوف نجده فى شخصية أم كلثوم نفسها . ولكن الاجابة الكاملة سوف تجدها فى تفسير آخر

تفسير فنى لعمل سياسى قامت به أم كلثوم



البكباشى انور
السادات مع ام كلثوم،
على سبم الطائرة قبيل
سفرها الى امريكا للعلاج

لقد اعطت ام كلثوم نموذجا لما يستطيع الفنان - والفنان فقط -
ان يفعله لبلده . نموذجا يشهده القاريخ من قبل مئات المرات
وسوف يشهده مئات المرات

ان الفنان هو - فى الواقع - اكثر من يحب بلده من ابناء
بلده . الفنان يستطيع ان يحب بلده فى ساعة حبا لا يستطيعه
غيره فى سنة . الفنان - اديباؤ موسيقيا او رساما او كاتبيا
او صحفيا او مطربا - يستطيع ان يترجم لك الوطنية الى اشياء
بسيطة مفهومة الى هواء نقى تتنفسه ، وأرض حرة تعشقها .
ان الجمهور عند الفنان سواء الشاب والعجوز المرأة والرجل،
اليمنى واليسارى ، الرجعى والتقدمى كل هذه التقسيمات
تختفى من قاموس الفنان ليحل محلها تقسيم آخر مختلف
مواطنون يحبون بلدهم واعداً يحتلون أرضهم

بهذا المعنى تتحول السياسة عند الفنان الى شيء خال من التعقيد والفلسفة السياسة هنا هي الدفاع عن الارض • دافع عن حياتك • عن سمائك • عن هوائك • عن بلدك • دافع عن أرضك •

فى هذه النقطة يقف الفنان فى المقدمة انه ليس خلفنا ، ليس بجانبنا ، انه أمامنا ، لان الفنان - يقول مكسيم جوركى - هو أكثر البشر التصاقا بالارض

لهذا السبب فان الشخص عندما يصبح فنانا فانه يتحول الى نموذج الى رمز رمز لكل ما هو جميل وباق ومحبوب ومستمر فى بلده ..

ولقد بدأت شخصية أم كلثوم تحمل هذه البذور منذ فترة طويلة مضت ، لقد دخلت الى المسرح تغنى مرة فى شهر فبراير سنة ١٩٤٩ ، ولكنها قبل أن تغنى فوجئت بضابط يستوقفها ليقدم اليها خطابا مغلقا ما هذا الخطاب ؟ ماذا بداخله ؟ ورقة ؟ أه ما هو المكتوب فى الورقة ؟ مش معقول انه رجاء يقدمه اليها ضباط وجنود الفرقة المصرية المسلحة التى يحاصرها الاسرائيليون فى الفالوجة « نريد أن نسمع منك فى حفل الليلة المذاع بالراديو أغنية غلبت أوصالح فى روى » ! قطعة غنائية تحولت الى مهمة وطنية ليلتها قطعت أم كلثوم وصلتها الاولى لتقدم الاغنية المطلوبة كما لم تغننا من قبل ..

وفى حرب ١٩٥٦ كانت القنابل تتساقط على محطات ارسال الاذاعة ، والانوار مطفأة داخل استوديوهات الاذاعة نفسها ، ولكن أم كلثوم دخلت الاستوديو لتحفظ اغانيها للمعركة وتسجلها على ضوء الشموع

وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ لم تنتظر أم كلثوم الدعوة من أحد لى تؤدى دورها - واجبها - كمواطنة كفرد عادى لقد بادرت بالدعوة الى اقامة تجمع وطنى للمرأة المصرية .. تجمع يساهم بأى مجهود لترميم - ثم تعبئة - المشاعر الوطنية للمرأة المصرية بعدها قادت الحملة لجمع تبرعات المواطنين الذهب الاموال الهدايا أى مبلغ أى هدية ، أى رمز يكفى للتعبير عن مساهمتك لبلدك دور بدايته أم كلثوم مبكرا بعد النكسة مازال الدور مستمرا ..

وفى كل الاحيان كان المعنى اكبر من المبالغ المتجمعة، الرمز اكبر من المال خذ مثلا تلك العروس التى ذهبت لتحضر حفل أم كلثوم

بمدينة المنصورة (فبراير ١٩٦٨) حفلا اقامته أم كلثوم لصالح
تبرعات ازالة آثار العدوان ان العروس قدمت دبلة زواجها
لكى يجرى عليها مزاد فى الحفل وفى لحظات تسابق الجميع
على شراء الدبلة دون ان يسترد أحدهم الرقم الذى عرضه ونسخه
آخر ان الدبلة ثمنها جنيه ولكنها بيعت بألفى جنيه ٠٠

وقبل أن تضى خمس دقائق على هذا الرقم فكرت طفلة صغيرة
كانت تحضر نفس الحفل لقد تقدمت الطفلة بحفنة من تراب
المنصورة فى كيس صغير من الحرير لكى يجرى عليها المزاد بنفس
الطريقة التى جرى بها على دبلة العروس ، فى لحظات بيعت حفنة
التراب بثلاثة آلاف جنيه ٠٠ هذا ترابنا ٠٠ أرضنا ٠٠ نفديها
بمالنا ٠٠ بحياتنا ٠٠ هذا هو المعنى الذى استطاع الفنان
- استطاعت أم كلثوم - أن تحوله الى رمز ونموذج ٠٠

و

هذا هو الجانب الآخر فى شخصية أم كلثوم الجانب الذى
يجب أن ينتهى اليه كل تقييم لأم كلثوم ، لقد تابعنا - طوال
صفحات الكتاب - شخصية أم كلثوم من زوايا عديدة أم كلثوم
عندما تغنى عندما تختار ما تغنيه ، وعندما تستريح مما تغنيه،
أم كلثوم على المسرح ٠٠ وفى البيت ٠٠ مع المستمع ٠٠ ومع الشاعر
والمحسن ٠ ثم - الآن - أم كلثوم كشخصية وطنية ، كفرد عادى ٠٠

انها جوانب مختلفة من حياة أم كلثوم وشخصيتها ان
الصفحات السابقة قامت « بتفكيك » شخصية أم كلثوم وحياتها
والصفحات القادمة ستحاول إعادة ربط شخصية أم كلثوم وحياتها
من جديد

ان ما يهم فى حياة أم كلثوم ليست الطريقة التى تروپها بها
ولكن الطريقة التى عاشتها بها ٠ ان ما تحتاج امرأة أخرى الى
اختراعه ٠٠ جربته هى ٠٠ ما تنسجه أخرى من الخيال ٠٠
مارسته هى ٠٠ ما تحلم بنصفه أى امرأة ٠٠ حصلت عليه
أم كلثوم كاملا انها غنت كما لم يغن أحد فاستمع اليها
الجمهور كما لم يستمع لأحد، ان بلدها أحبها كما لم يحب أحد،
فأحبت هى بلدها كما لم يحبه أحد انها - باختصار - غنت
وأحبت فاستمرت فى سنوات لا يستمر فيها أحد !

ان السبب فى هذا كله كان بسيطا بقدر ما كان صعبا انها
استطاعت أن تخلص وتركز وتمثل مشاعر جمهور كامل على



فتاء وراقص شعبى فى المغرب احتفالا بام كلثوم

امتداد جيلين أو ثلاثة ظاهرة مألوفة فى حياة كل شعب ، وفى
أوقات معينة من التاريخ يستطيع شخص واحد - فنان واحد -
أن يكون رمزا لذوق شعبه ومشاعره

هذا ما فعلته أم كلثوم . فعلته فى القاهرة وفى الخرطوم ،
فعلته فى المغرب ، فى الكويت ، فى تونس ، لبنان ، ليبيا ، قلعته ..

حتى فى هونج كونج حتى فى كندا !

ان هونج كونج هى بلد الفرائب ولكن الغريب بالنسبة لى
كان ما يلى . سيدة مصرية متزوجة . انها متزوجة من مدير
فندق هيلتون بهونج كونج . انها مقيمة هناك منذ أربع سنوات .
شقة أنيقة فى الدور الثالث من الفندق

وقبل ان أغادر هونج كونج سألت السيدة المصرية مجاملا

- الا تريدين أى شئ من مصر ؟

ردت السيدة بلهفة : آه أرجوك !

- ماذا ؟

- أسطوانات أسطوانات أم كلثوم ان أحدث أسوانة
عندى هى « انت الحب » أريد أسطوانات كل الاغاني التالية
لها لاتنس أرجوك لاتنس !

★ ★ ★

ومن هونج كونج فى الشرق الاقصى - الى كندا فى اقصى الغرب ،
تكررت لى نفس التجربة !

لقد ذهبت الى كندا مرة فى مهمة صحفية ، ان كندا بلاد بعيدة
بعيدة بلاد تفصلنا عنها صحراء وبحار ومحيطات و ١٧
ساعة بالطائرة ، بلاد نأتمنها على أربعين ألف مواطن عربى
يعملون هنا ويعيشون هناك

اننى سوف انسى أشياء كثيرة قبل ان انسى لقاءاتنا كل ليلة فى
أحد المطاعم المملوكة للعرب بمدينة مونتريال مطعم صغير ،
ولكنه كان كبيراجدا بالنسبة لنا لان صاحبه يمتلك عدة شرائط
سجل عليها أحدث اغاني أم كلثوم ، (أحدث هنا تساوى عشر
سنوات مضت !) - كنا نلتقى كل ليلة - مجموعة من المواطنين



مصر التي لي خاطري ولي همي ..

العرب .. وانا .. ثم .. نبدا فى سماع اغانى ام كلثوم شىء
واحد اجمعنا عليه .. ان بلادنا كلها تعيش فى هذا الصوت نيل
مصر جبال لبنان .. تلال الاردن .. لهيب الجزائر .. سحر
المغرب .. حضارة بغداد ، تاريخ القاهرة .. عمق المحيط .. صفاء
السماء .. اتساع الصحراء ..

واحيانا كان هذا كله يختفى عندما يتعطل جهاز التسجيل
لحظتها يسكت هذا كله .. يتحول الى صدى .. ذكرى .. أمل
والى ان ينجح احدنا فى اصلاح الجهاز .. فان كل لحظة تزن
فوقنا كجبل .. ثم .. يعود الصوت .. تعود بلادى .. بلاده
بلادها .. بلادنا ..

كيف حال بلادنا ٠٠؟

بلادنا تستعد .. شبابنا يحارب .. ارضنا ترويهما الدماء

واسال ام كلثوم .. ماذا تقرئين الآن ٠٠؟

وهى ترد .. قصيدة شعر لنزار قباني .. يقول احد ابياتها
الى فلسطين طريق واحد .. يمر من فوهة بندقيّة

هنا نقول ام كلثوم : ان القضية قضية ارض فلسطين لم تكن
ارضا خالية من السكان .. فلسطين كانت شعبا يملك الارض ..
والشعب يجب ان يعود .. ليست المسألة احسانا يقدمه العالم الى
اللاجئين .. ان هوائيينا كسبوا لنا فى سنة ما لم تكسبه لنا
اصواتنا فى عشرين سنة ..

واسال : ام كلثوم .. ماذا تتصورين اننا نحتاج اليه الآن؟ ..

وام كلثوم ترد .. رصاص .. وعمل

هذا كل شىء

هل نحتاج الى شىء اخر ؟! ..

انکور طہ حسین . . مع ام کلثوم







ماذا يبقى من أم كلثوم أو محاولة لفهم الشخصية الفنية

« لا يهمني من يضع للناس شرائعهم
مادمت أنا الذى أصنع لهم أغانيهم »
كونفوشيوس

الا المرأة ! .. عندها يصاب كل كتاب التاريخ المصرى
بفقد الذاكرة !!

فأى شخص يتعرض لتاريخ المرأة فى مصر لن يجد نمونجا
واحدا لامرأة يحييها المؤرخون ، أو حتى يؤرخ لها المؤرخون !!
فالمرأة عندما ظلت لفترة طويلة صورة ملحقه بأصل اكبر منها
وأهم الرجل ..

المرأة فى تاريخنا ظل .. خيال .. صدئ .. ان المؤرخين لا يتحدثون
عنها الا من خلال رجل .. أو عن طريق رجل .. أو بواسطة رجل!
و .. هذه اول قاعدة ساهمت أم كلثوم فى كسرهما ..

ان ما يبقى - أو يجب أن يبقى - من أم كلثوم هو هذا : ان
المرأة تستطيع هى أيضا أن تساهم بشكل رئيسى فى حياتنا العامة
.. وفى قضايانا العامة .. ان أم كلثوم - كامرأة - لم تنتظر
الدعوة من أحد لكى تبدأ نشاطا وطنيا عاما بعد نكسة
يونيو ١٩٦٧ وقبلها نشاط مستمر .. النقطة هنا هى ان المرأة
يمكن ، تستطيع ، بل تقوم فعلا - بتحويل السياسة الى عمل بسيط
يؤديه كل مواطن ، المرأة هنا تستطيع أن تشارك ، تدعو ، تفكر ،
تتقدم تبادر ، ثم تعطى المثل لم تعد المرأة هنا تحتاج الى
أن تبرر نفسها مرتين مرة كامرأة .. ومرة كمواطنة .. لقد
سقط الحاجز الذى كانت المرأة تجلس خلفه .. كامرأة ..
وبسقوط هذا الحاجز بقيت الصفة الاساسية للمرأة انها مواطنة
اولا .. ثم امرأة بعد ذلك

هذه نقطة ..

ولكن أم كلثوم فنانة مثلما هى امرأة
هنا أيضا نستطيع أن نكتشف ماذا يبقى لنا منها كفنانة .. لقد



من وجهه ام كلثوم خال من الزوايا العادة القاطعة • وجه يفضل
أن يستمع أولا في كل مناقشة • قبل أن يبدأ الحديث •

اثبتت أم كلثوم من قبل أن المرأة لا تستطيع أن تكون مواطنا محايدا
فى القضايا العامة . انها هى أيضا يجب أن تنصدر الصفوف

وما يبقى من أم كلثوم كفنانة هو أن الفنان أيضا لا يمكن أن
يكون محايدا . الفنان لابد أن يكون « مع » و « ضد » . الفنان
لا يستطيع أن يكون عديم اللون والطعم والرائحة . لابد للفنان
أن يكون له طابع لون موقف

فعندما جاءت أم كلثوم الى القاهرة كانت تستطيع بسهولة أن
تكون مجرد مطربة أخرى تردد الاغاني الخليعة السائدة . مجرد
مبتدئة تكرر ما نجح فيه غيرها . مجرد صدى ولكنها اكتشفت
أنه لابد للفنان أن يختار . لابد - لأن الفن هو أولا اختيار
وحينما يختار الفنان فانه يفعل ذلك دون أن يلوى ذراع
الجمهور لا يستطيع لا يمكن



عند هذه النقطة بالضبط سوف نجد انفسنا وجها لوجه امام
الدور الحقيقى للفنان - أى فنان - دور نساء فهمه غالبا ، دور
يفرض علينا أن نفهم الفنان أولا . حتى يفهمنا الفنان !!



ان الفنان هو أولا متفرج . انه متفرج كأي شخص ولكنه
ليس كأي شخص !!

الفنان متفرج من حيث أنه يعيش فوق نفس الارض التى نعيش
عليها جميعا . يتنفس نفس الهواء . يفعل بنفس الاحداث
ولكن الفنان يأخذ تلك اللحظات التى هى بالنسبة لنا مجرد
لحظة زائد لحظة زائد لحظة أخرى . ثم ينقلها اليها مرة
أخرى كسلسلة جديدة مترابطة من الزمن لها معنى جديد
وتفسير جديد .

ان الشخص العادى يرى صورة الحياة مجزأة منظرا منظرا .
يرى الجزء الذى يهمه ، ولكن الفنان يرى - أو يحاول أن يرى -
الصورة كلها . فالشخص العادى يرى الشجرة . والفنان
يرى الغابة

من هنا بالضبط يبدأ الفنان فى الانفصال عن الشخص العادى .
فالشخص العادى يعيش حياته بالاقدمية . مجرد تسجيل أقدمية
زمنية فى الحياة . ولكن الفنان ليس كذلك . انه ليس قطعة

اسفنجة تمتص الالوان وتعيدها اليها دون تغيير انه يعيدها اليها
الوانا جديدة بمعان جديدة .. ومضمون جديد فن

والفنان - عندما يكتمل - فانه يتعلم أن يفكر ويشعر ويرى
بشكل جديد ، طريقة خاصة أسلوب مختلف وهذا هو الأمر
الصعب دائما في أى شيء

ان الروائي الفرنسي الشهير فلوبيير كان يقول لكل واحد من
تلاميذه اذهب وسر خطوتين ثم اكتب لى ما رأيته فى مائة
سطر !!

هذا حقيقى

فالفنان لابد أن يرى ما لا يراه غيره يلاحظ ما لا يلاحظه
غيره يتفرج كما لا يتفرج غيره

★ ★ ★

وكل منا هو فى الواقع فنان بدرجة أو بأخرى ان الغريزة
التي تدفعنا الى أن نطابق بين الوان جواربنا وأربطة عنقنا
وتدفعنا الى أن نضع أزرارا على ملابسنا .. هى نفسها الغريزة
البدائية التي تدفع الفنان فيما بعد الى البحث عن الجمال فى
كل شيء قبيح كلنا اذن فنانون بشكل ما .. بالرغم من اننا
لانعرف ذلك غالبا . اكتشاف تماما كالبطل فى إحدى مسرحيات
موليير .. عندما يشعر بسعادة بالغة لأنه اكتشف - فجأة - أنه
كان طوال حياته يتكلم بالمشترى

نحن اذن نحتاج الى النظرة الفنية فى حياتنا نحتاج الى
وجود الفنان واذا لم نجده اخترعناه فكل جيل يتولى اختراع
الفنانين العظماء الذى يقدم لهم تقديره واعجابه ..

★ ★ ★

ومن الاقوال الماثورة أن كل شعب يحصل على الحكومة التي
يستحقها ..

ولكن الاقرب الى الحقيقة أن كل جمهور يحصل على الفنانين
الذين يستحقهم لان كل جمهور يسعى دائما الى أن يتعرف على
حقيقته والفن يقوم - فى جزء منه - بهذه المهمة . الفن - كما
قال الروائي الانجليزى د. هـ . لورنس يخبرك بالحقيقة عن عصره
أو - كما قال كارل ماركس - الفن هو دائما الحركة الخالدة لعصره
أو - يقول الفنان الشهير بيكاسو - اننا جميعا نعرف أن الفن
ليس هو الحقيقة . أن الفن هو الأكذوبة التي تجعلنا ندرك الحقيقة

ان الصفة الاساسية للفن اذن هي انه يكتشف ويدرك لحسابنا
انه يعطينا الوجه الآخر - الوجه الخفى - لحياتنا .

★ ★ ★

والفنان حينما يقوم بهذه المهمة فانه يقوم بها لحسابنا جميعا .
لحساب جمهوره . فلاتصدق انه يوجد فنان لايهتم بالجمهور
كذب . الفنان لايمكن ان يستغنى لحظة عن الناس وعن الجمهور
.. الآن او بعد مائة سنة . بل ان الفنان الروائى تولستوى
- فى تعريفه للفن - يقول انه « نشاط انسانى يحاول فيه
واحد من الناس ان ينقل احساسات معينة عاشها هو .. لكى
يتأثر بها الآخرون ويعيشون هم ايضا »

ان جوهر هذا الرأى لتولستوى يتشابه مع نظرية اخرى فى
الشعر وثالثة فى القصة ، ورابعة فى الغناء نظرية تصر على
ان الفنان هو « انسان يتحدث الى الناس » ..

لهذا السبب فان الفنان يجد نفسه دائما فى وضع واحد مع
السياسى والقديس ان الثلاثة هم الذين يحكمون العالم - الآن
وفى أى وقت . الثلاثة عبيد لـ - وسادة على - المجتمع الذى
يعيشون فيه الثلاثة يحتاجون دائما الى جمهور ، ولهم دائما
جمهور ولكن من الصعب ان نقول ايهم يملك السلطة الاكبر
بالنسبة لجمهوره .

ان السياسى يملك السلطة والقديس يهدد بالجحيم والفنان
يفرئ بالجمال ..

وبالنسبة للسياسى فان العالم ينقسم الى قسمين اصدقاء
واعداء . الذين معه .. والذين ضده .

وبالنسبة لرجل الدين ينقسم العالم الى قسمين آخرين
مؤمنين .. وكفار . الذين يؤمنون والذين يكفرون

اما الفنان - فمازال العالم ينقسم عنده ايضا الى قسمين
الذين يحبون والذين لا يحبون . الذين يتذوقون الجمال ..
والذين لا يتذوقونه ..

انه اذن تقسيم مختلف اهتمامات مختلفة . جمهور مختلف

واحيانا يكون الجمهور واحدا بالنسبة للثلاثة ، ولكن معنى
هذا الجمهور يختلف .



ام كلثوم مع المصطفى اللبناني الكبير سعيد فريضة وشاعر الغنية (علم ليلس) جورج جرداق

أحيانا تكون الايدى التى تصفق للجميع هى نفسها
ولكنها عندما تصفق للسياسى فهى تقول موافقون
وعندما تصفق للقدس فهى تقول مؤمنون
وعندما تصفق للفنان فهى تصيح اعطنا المزيد اعد
ان الجمهور يقول ذلك للفنان بغير سلطة يخشاها أو جنة تغريه
اختيار ٠٠ لان الفنان هو الوحيد الذى يعيش بعقله .يعيش
على ذكائه وذكائه فقط انه يلعب على المكشوف ان أوراقه
كلها يراها الجمهور

★ ★ ★

لهذا السبب نفسه فان الفنان يحتفظ بأذنه دائما قريبة من ايدى
الجمهور . وكلما صفق له الجمهور أكثر احتاج هذا لتصفيق
أكثر المسألة كميّاه المحيط كلما شربت منها أكثر عطشت
أكثر ان الفنان هنا كالبطل فى احدى روايات بلزاك حينما
يطل على باريس ويصيح لم يزل أمامى أن أمتلك هذه !

★ ★ ★

ولكن الفنان لا يحصل على اعجاب الجمهور بسهولة وإذا
حصل عليه أصبح صعبا أن يحافظ عليه .
المسألة هنا كطرفى مقص كلما حصل الفنان على اعجاب
من الجمهور شعر بخوف أكبر من فقدان هذا الجمهور .
خوف من ألا يتلقى هذا الاعجاب مرة أخرى
ان الذين يعرفون أم كلثوم عن قرب يعلمون انها تعتبر أن كل
أغنية جديدة تقدمها للجمهور هى أغنيّتها الاولى هى لقاءها
الاول مع الجمهور انها تحس بخوف باضطراب ، بقلق
بمسئولية انها تحس أن كل عمل جديد تقدمه هو استفتاء جديد
لشعبيتها هذه المسؤولية نحو الجمهور ، هذا القلق يشغل كل
فنان أصيل بأكثر مما نتصور وكلما كبر الفنان زاد قلقه
زادت مسؤوليته ان أى شخص كلما ارتفع فوق السلم . .
ازدادت خشيته من السقوط لانه كلما كان مرتقعا كان
السقوط مدويا

وسقوط الفنان يمكن أن يتم فى أى لحظة لا يكفى أن تكون
فنانا أمس ولا منذ خمس دقائق يجب أن تكون فنانا الآن
وفى كل لحظة ان بيرجنت بطل مسرحية هنريك إبسن يصيح
قائلا أين ثلوج شتاء مضى ؟!

والجمهور يفعل نفس الشيء . لقد ذابت بالنسبة له ثلوج شتاء
مضى . ثابت أمجاد يوم مضى . ماذا من جديد . . هذا ما يهيم الآن

ان هذا الخوف من - والحاجة الى - الجمهور - هو أبرز
ما يميز الفنان عن غيره فى هذا العالم . ان الجمهور بالنسبة
للفنان هو المكافاة وهو العقاب هو البداية والنهاية .
السعادة والألم القمة والقاع

هذا معناه ان الجمهور يملك دائما حق الفيتو بالنسبة لأعمال
الفنان . حقا يحمى أهل الفن دائما من أهل الهوى . ويميرهم
عن أهل الهوى

فالفن يرفض التكرار . حتى ولو طلبه أهل الهوى
والفن لا يقبل الوساطة . حتى ولو حاولها أهل النفوذ
والفن لا يأخذ رشوة . حتى ولو دفعها أهل الفنى
كل الفنون هكذا . أدب . موسيقى . رسم . شعر .
صحافة . وغناء .

انها علاقة مباشرة تجعل الفنان دائما أصدق ممثل للجمهور .
فالفنان الصابق دائما هو الذى يتقمص الصفات البارزة لشعبه .

من الذى يفوق فى أمريكياته مثلا سينسر تراسى أو هنرى فوندا
أو هنرى ميلر . من الذى يفوق فى ايطاليته البرتو مورافيا أو انا
مانيانى ؟ من الذى يفوق فى فرنسيته جان بول سارتر أو بريجيت
باردو ؟ من الذى يفوق فى مصريته طه حسين أو العقاد أو أم كلثوم ؟

كلهم يحملون فى أعمالهم بصمات شعوبهم واضحة . صفات
مجتمعهم كاملة . اتفق أو اختلف مع هذه الصفات كما تشاء . .
ولكنهم فى النهاية رمز وتلخيص لها

★ ★ ★

والفنان - بجانب مهمته كمتفرج على الحياة - هو أيضا مفسر
لهذه الحياة . انه مؤرخ للماضى . ومكتشف للمستقبل فى وقت
واحد . صعوبة جديدة تضاف الى الصعوبات السابقة فى عمل
الفنان

فالفنان عندما يكون كاتباً . فانه يصبح كالطبيب . لا تهمة
حالات اكتمال الصفة . ولكن تثيره حالات تقشى المرض

وعندما يكون اديبا يصبح كالفلكى يبدأ بما يراه الجميع
لكى يصل الى ما لا يراه الجميع .

وعندما يكون موسيقيا او ممثلا او مغنيا يصبح كالشمعة
لابد ان تحترق .. لكى تنير للآخرين لابد ان يتألم الفنان
لكى يسعد الآخرين

فالشمعة فى يد الفنان تحترق من طرفيها لابد للفنان ان
يتعذب يقاسى يتألم ، أحيانا يستشهد لكى يقدم للآخرين
شعاعا من النور يهديهم الى الطريق

وكثيرا ما لا يرى الناس أثرا لهذا العذاب فى عمل الفنان
تماما مثلما نلاحظ فى حياتنا العادية ان كثيرا من الاشياء التى
نأكلها قد طبخت على موقد بوتاجاز .. ولكننا لا نعتز فى الطعام
على مذاق البوتاجز

لهذا السبب كان الموسيقار الالماني الشهير بيتهوفن يقول دائما
انى أصير وأفكر وأتألم .. فكل ألم يجلب معه بعض الخير !

ان هذا الامل - الامل فى بعض الخير بعد كل العذاب - هو
العزاء الاخير لأى فنان عن الله مثلما نجد ان نجاح انطلاق
الصاروخ فى دقيقة هو العزاء الاخير لسنوات من الجهد الذى بذله
المهندسون والعلماء فى تركيب هذا الصاروخ

ان الخوف من الجمهور يسبب أقصى الألم ولكن مكافأة
الجمهور تسبب أقصى سعادة شعور عابر عنه حكيم الصين
القديمة كونفوشيوس بقوله « لا يهمنى من يضع للناس شرائعهم
مادمت أنا الذى أصنع لهم اغانيهم » .

لأن الفن فى النهاية تعبير الانسان عن سعادته



و أم كلثوم هى أولا امرأة وثانيا فنانة وثالثا فنانة
تسعد الناس وبالنطق

ليس من حقنا ان نستهلك السعادة دون ان ننتجها كلمات
نظرية لاننا نرى غير ذلك فى حياتنا . نستهلك الثروة دون
ان ننتجها نستهلك الجمال دون ان نخلقه و نستمع الى
أم كلثوم دون ان ننتج أم كلثوم أخرى ولسوف يظل الامر

هكذا الى ان نفهم اولاً طبيعة الفنان كشخص متميز نفهم ثانياً ماذا يتبقى لنا من الفنان من أم كلثوم فى حالتنا هذه

ان أم كلثوم فنانة تغنى • قمة فى فنها • مستمرة فى قمتها • ان استمرارها هذا نجاح فى حد ذاته فمع صدام الاجيال المستمر الذى تشهده الانسانية •• لا يوجد جيل يتقبل احكام واذواق الجيل السابق عليه بغير مراجعة أحياناً وبالرفض غالباً ان هذا لم يحدث مع أم كلثوم استثناء خاص

ان هذا الاستثناء لم يكن مجاملة شخصية لأم كلثوم فالفن لا يقبل المجاملات وانما هو نتيجة لصفات استثنائية تميزت بها أم كلثوم صفات حاول هذا الكتاب تسجيل عناوينها الا صفة أخيرة هى حياة أم كلثوم نفسها

فنحن - فى الادب مثلاً - نرى ان هناك نوعين من الفنانين نحن نرى فنانين تطفى اعمالهم الفنية على حياتهم شيكسبير مثلاً نحن لا نعرف من هو شيكسبير •• أو من كان هومر • لقد اختفى الفنان هنا داخل عمله وتراجعت حياته وشخصيته الى الخلف تماماً

وفى مقابل ذلك نجد فنانين طغت حياتهم على اعمالهم الفنية • جان جاك روسو مثلاً ان اعترافاته التى سجل فيها حياته أصبحت أهم عمل فنى له لقد أصبحت حياته نفسها عملاً فنياً تراجعت الى جانبه كل الاعمال الأخرى

★ ★ ★

وبالنسبة لأم كلثوم فأننى أرى أنها تنتمى الى النوع الاول فى المدى القصير ، وتنتمى الى النوع الثانى فى المدى الطويل • ان السنوات القادمة سوف تؤكد ذلك •

تؤكد ان حياة أم كلثوم هى نفسها العمل الفنى الاكبر الذى تركته لنا ••

و

كم الساعة الآن - لو سمحت ؟!

محمود عوض



كتب للمؤلف :

- أم كلثوم التى لا يعرفها أحد
(طبعة ثالثة)
- مصرى بمليون دولار
(طبعة ثانية)
- محمد عبد الوهاب
(تحت الطبع)
- أيام سقطت من «الايام»
(تحت الطبع)



القادم

كتاب اليوم



حياة
قائد

بقلم

احمد الصاوي محمد

يصدر في
أول مارس

الطبعة الأولى

طبيعًا ...



أقوى
وأسرع
ممكن
للآلام



شركة الإسكندرية للأدوية والصناعات الكيماوية

أحد شركات المؤسسة المصرية العامة للأدوية





بنك القاهرة

استقرار الحاضر وطمأنينة المستقبل
يحققهما لك والأسر بك

الحساب الشخصي / جوائز اليانصيب

يشرف البنك على عمليات
اليانصيب وتصرف
الربح
من جميع قروعه

بدون مصاريف
فائدة ٣.٥٪ سنوياً
الادخار والسحب مؤثلاً من كافة
قروعه البنك
بخدمتك أينما سافرت

ضد التزوير / خزائن حديدية

بإيجار زهيد
لحفظ كل ما يخصك عليه
من السرقه أو التلف أو
الضياع من متبرء ومقنيات

فائدة
٣.٥٪ سنوياً



الإدارة العامة : ٢٢ شارع عدني - القاهرة

صدر من كتاب اليوم

احمد حسن الباقوري	خواطر واحاديث
فتوح نشاطي	فننن في باديس
انيسي منصور	بلاد الله ... خلق الله (طبعة ثالثة)
احسان عبد القدوس	النساء لهن أسنان بيضاء
احمد بهاء الدين	ايام لها تاريخ
كامل زهري	الفساضون
احمد حمروش	مصرى في فيتنام والصين وكوريا
احمد رجب	صور مقلوبة
مجدى نصيف	القمر في انتظارنا
محمود عوض	ام كلثوم التى لا يعرفها احد
سعد مكايى	رجل من طين
يعحى حقى	حقيقة في يد مسافر
محمد التابعى	ليلة نام فيها الشيطان
د. عبد الحليم محمود	القرآن في شهر القرآن
ابراهيم المصرى	الكاس الاخيرة
د. محمد زكى عبد القادر	لست مسيحا اغفر الخطايا (طبعة ثانية)
امين يوسف غراب	يحدث في الليل فقط
عبد المنعم الصاوى	طويل يا زمن
ابراهيم البعثى	شخصيات عربية معاصرة
موسى صبرى	شيوعيون في كل مكان
ثروت أباطة	حين يميل الميزان
محمد التابعى	صالة النجوم
توفيق الحكيم	قلت ذات يوم
احمد الصاوى محمد	الشيطان لعبته المرأة والمرأة لعبتها الرجل
د. جمال الدين غوردون	الحديد في مرض السكر
فتحي رضوان	مشهورون مشنيون
خالد محمد تحالف	اسلاميات
كامل زهري	العالم من ثقب الباب
احمد رجب	توتة توتة
عبد المنعم الصاوى	موعدنا بعد غد





هذا الكتاب

نفقت عشرات الآلاف التي طبعت منه ..
نفدت الطبعة الأولى .. ونفدت الطبعة الثانية
خلال ساعات من صدورها ..

وهذا أمر طبيعي ..

فالملايين التي تعشق أم كلثوم في مصر والعالم
العربي .. اكتشفت فجأة أنها لا تعرف عن
أم كلثوم أكثر من ١٥٪ مما يجب أن تعرفه ..

وجاء هذا الكتاب ليقيم فيه الكاتب الصحفي
الشاب محمود عوض الـ ٨٥٪ الباقية ..

إنها صفحات من مذكرات أم كلثوم .. وعنها ..

صفحات تقدمها في هذا الكتاب : أحسن
كتاب ، عن أحلى صوت ، بأرشق أسلوب ..

١٥ قرشا